المركز الجامعي نور بشير البيض

معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم : العلوم الاجتماعية

مطبوعة بيداغوجية

مقياس: تيارات فكرية كبرى

السداسي: الثاني **الوحدة: أساسية**

المستوى: أولى جذع مشترك علوم اجتماعية

الشعبة: العلوم الاجتماعية

أستاذ المقياس: رفاس نور الدين

البريد الإلكتروني: n.reffas@cu-elbayadh.dz

السنة الدراسية: 2026/2025

الفهرس

مقدمة 2
المحاضرة الأولى: مدخل مفاهيمي 8
المحاضرة الثانية: التيار المثالي 15
المحاضرة الثالثة: التيار المادي..... 26
المحاضرة الرابعة: التيار العقلاني 38
المحاضرة الخامسة: التيار التجريبي 49
المحاضرة السادسة: التيار البنيوي..... 59
المحاضرة السابعة: التيار الوظيفي 64
المحاضرة الثامنة: التيار الماركسي 74
المحاضرة التاسعة: التيار التطوري 79
المحاضرة العاشرة: التيار الوجودي..... 87
المحاضرة الحادية عشر: تيار التحليل النفسي 97
المحاضرة الثانية عشر: التيار السلوكي 105
المحاضرة الثالثة عشر: التيار البراغماتي 111
المحاضرة الرابع عشر: التيار الظواهري الفينومينولوجي Phenomenohogie 121
المحاضرة الخامس عشر: التيار التأويلي..... 131
قائمة المصادر والمراجع 143

مقدمة

تحتوي هذه المطبوعة على أهم المحاضرات التي تندرج ضمن مقياس التيارات الكبرى، حيث يشكل مادة أساسية لفائدة طلبة سنة أولى جذع مشترك علوم اجتماعية. حيث تم تصنيفها (المادة) ضمن التعديل الذي تم تطبيقه خلال الموسم الجامعي (2023 – 2024)، على عروض تكوين الليسانس (ل م د) داخل ميدان العلوم الإنسانية والاجتماعية، بحيث تم توزيع وحدات التعليم في الجذع المشترك على الشكل الآتي:

السداسي الأول:

– وحدة التعليم الأساسية: مدخل إلى الأنثروبولوجيا – مدخل إلى علم النفس – مدخل إلى علم الاجتماع – مدخل إلى الفلسفة.

– وحدة التعليم المنهجية: ابستمولوجيا العلوم الاجتماعية – الإحصاء الصفي.

– وحد التعليم الاستكشافية: تاريخ الجزائر – البحث الوثائقي –

السداسي الثاني:

– وحدة التعليم الأساسية: مدخل إلى علوم التربية – مدخل إلى علم السكان – مدخل إلى علم السكان – مدخل إلى الأرطوفونيا – تيارات فكرية كبرى

– وحدة التعليم المنهجية: منهجية البحث العلمي – الإحصاء الاستدلالي

– وحدة التعليم الأفقية: مجتمع المعلومات اللغة الأجنبية2.

إن الأهمية التي يتميز بها مقياس التيارات الفكرية الكبرى جديرة بالإشادة والتثمين لكون يعمل على التكوين القاعدي للطالب المسجل سنة أولى جذع مشترك ولكون تسجيله البدايات الأولى لاكتساب المعارف خاصة ما تعلق بالمقياس الذي يعد شاملا مقارنة بالمقاييس

الأخرى نظر للمحاضرات التي يتضمنها، لأنها محاضرات يترتب عنها معرفة جميع الجوانب المعرفية المرتبطة بتاريخ الفكر البشري وأنه تاريخ يشمل الفترات الزمنية الكبرى (الفترة القديمة – فترة العصور الوسطى – الفترة الحديثة – الفترة المعاصرة). كما ان القضايا التي تعالجها مواضيع المقياس متنوعة على حساب الإطار الزمكاني (التفكير – الدين –الأخلاق – القيم – الجمال – المجتمع) وهذه المواضيع لها صلة وطيدة بجميع المقاييس والتخصصات الأخرى. كما يهدف المقياس إلى اكتساب مهارات تصنيف الاتجاهات الفكرية الكبرى وفحص أسسها ومبادئها النظرية وعلى سبيل المثال نذكر:

التيار المثالي – التيار الوجودي – التيار البراغماتي – التيار العقلاني ...إلى غيره من التيارات الأخرى التي لها أهمي كبرى بالنسبة للطالب والمتعلم، وزيادة الرصيد المعرفي تكمن كذلك من خلال التعرف على الفاعلين في سياق التيارات الفكرية من فلاسفة وعلماء اجتماع وباحثين في علم النفس والأنثروبولوجيا ..الخ .لنخلص إلى جملة الاستنتاجات التي حصلناها من مضامين هذه المادة.

التعريف بالمادة:

السداسي: الثاني

اسم الوحدة: تعليم أساسية

اسم المادة: تيارات فكرية كبرى

الرصيد: 05

المعامل: 02

الحجم الساعي خلال السداسي: 45 ساعة

الحجم الساعي الأسبوعي: 1س و30د (محاضرة) 1س و30د (أعمال موجهة)

طريقة التقييم: مراقبة مستمرة (40%) + امتحان (60%)

أهداف التعليم:

1-تمكين الطالب من فحص المنطلقات النظرية للبحوث والدراسات الانسانية والاجتماعية

2-إدراك المحددات الأساسية للمواقف الاجتماعية

المعارف المسبقة المطلوبة:

1-تاريخ الفكر

2-الاطلاع على أهم الإشكاليات الفكرية الاجتماعية

3-الخصائص الجوهرية للتفكير الإنساني

القدرات المكتسبة:

1-القدرة على تصنيف الموقف الفكرية

2-القدرة على نقد الموقف وأسسها النظرية

3-القدرة على استنباط الموجهات المضمرة والمعلنة في البحوث والدراسات

محتوى المادة:

1-مدخل مفاهيمي (التيار – المذهب – المدرسة)

2-التيار المثالي

3-التيار العقلاني

4-التيار التجريبي

5-التيار المادي

6-التيار البنيوي

7-التيار الوظيفي

8-التيار الماركسي

9-التطورية الداروينية

10-التيار الوجودي

11-تيار التحليل النفسي

12-التيار السلوكي

13-التيار البراغماتي

14-التيار الظواهري

15-التيار التأويلي.

أهم المراجع المراجع:

1. أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، تر: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس
2. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982
3. جورج غوستوروف، أصول التأويلية، تر: فتحي إقزو، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الدار البيضاء، ط1، 2018
4. جورج كوتنهام، العقلانية، فلسفة متجددة، تر: محمود منقذ الهاشمي، مركز الإنماء الحضاري، د.ت.
5. عثمان أمين، رواد المثالية في الفلسفة الغربية المعاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

6. مصطفى النشار، اعلام الفلسفة، في الشرق والغرب، أفلاطون، رائد المثالية، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط1، 2018.
7. ويليم جيمس، البراغماتية، تر: وليد شحاتة، دار الفرقد، ط1، 2014.

فؤاد كما وآخرون، الموسوعة الفلسفية المختصرة، دار القلم، بيروت، دون طبعة، دون تاريخ

مقدمة:

يعتبر الإنسان واحدا من الكائنات الحية التي تستطيع تنظيم حياتها وبناء مقوماتها وفق أسس رصينة نستطيع من خلالها ان نميزه عن باقي الكائنات الأخرى، حيث لا يتجلى ذلك إلا عن طريق العقل الذي من خلاله ينشأ سويا وينمو سليما ويتطور مع مرور مراحل حياته عبر الزمن، الأمر الذي يترتب عنه التفكير ليس فقط في أنطولوجيته وكينونته، بل في الكيفية والطريقة التي يفكر بها، مقارنة مع الآخر الذي ظل منافسا له ومواكبا لتطوراته، لذا يمكن القول في هذا السياق أن ثمة هناك مجموعة من الأنساق الفكرية التي خاضها الإنسان (الفيلسوف، المفكر، الباحث ...) عبر التاريخ،

ونحن في هذا الصدد نسعى إلى إبراز جملة التيارات الفكرية التي أنتجت منذ القديم مرورا بالفترات اللاحقة إلى الفترة المعاصرة، ولأن الفكر أو التفلسف من سماته التراكمية فحتما لا يمكن استحضار واحدة من الأنساق أو التيارات الفكرية على غرار التخصصات العلمية والدقيقة إنما يستوجب علينا كباحثين في الحقل الفلسفي الإلمام بجملة الاتجاهات التي من شأنها ساهمت في بناء الحضارات وخلق سبل الاستمرارية المتمثلة في الآليات الفكرية المختلفة والمتعدد على شاكلة النقد والتواصل ...الخ، كما لا يفوتنا القول والإشارة إلى أن كل تيار فكري أو نسق معرفي إلا وله قيمته وفعاليته خلال فترة نشوءه بحيث يصبح معاصر لزمنه من دون محالة، وعلى هذا الأساس بقيت ولا زالت الأعلام الفكرية الماضية سواء ما تعلق بالفترة القديمة أو العصور الوسطى أو الفترة الحديثة قائمة إلى حد اللحظة الراهنة، هذا

إن دل على شيء فإنما يدل على الأثر البالغ الذي تركته التيارات الفكرية الكبرى، كلها ظلت مرجعا أساسيا ومدخلا هاديا إلى بحوثنا اليومية واستشرافنا المستقبلي، لذا أصبح من الضروري، بل من الواجب الاطلاع على ما قدمه الفكر سابقا

المحاضرة الأولى: مدخل مفاهيمي

تمهيد:

تحتوي هذه المحاضرة على مجموعة من التعاريف والمفاهيم التي لها صلة بمقياس التيارات الفكرية الكبرى، إذ من الواجب لكل دراسة أن تعرف بالمصلحات التي تتضمنها إشكالية البحث، ونحن في هذا الصدد نتطرق بالتعريف كل من: التيار – الفكر – النزعة الإنسانية ...إلى غيرها من المفاهيم الأخرى التي لها علاقة بفحوى الدراسة

التيار:

الأصل الاشتقاقي للمصطلح:

جمع تيار، والتيار من تار يتور، مثل القيام من قام يقوم[1]

المفهوم اللغوي لمصطلح التيارات:

حركة سطحية في ماء المحيط تتأثر باتجاهات الرياح، وتنقل المياه الدافئة إلى المناطق الباردة وبالعكس[2]

وقد تكون هذه الحركة:

* سريعة: يقال قطع عرقا تيار، أي سريع الجرية

* شديدة وعميقة: كما في حديث علي: "ثم أقيل مزبدا كالتيار"

هو موج البحر ولجته[3]. تدريجية مرة بعد مرة.

[1] لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، حرف التاء، دار صادر – بيروت، ط3، 1414ه، ص4، ص97
[2] المرجع نفسه، ص04، ص97
[3] المرجع نفسه، ص04، ص97

وكلمة تيار هي ترجمة للكلمة الإنجليزية (trend) التي تعني نزعة أو نزعات، أي الطريقة التي تتغير وفقها الأشياء، وتعني أيضا ميلا أو اتجاه، وتترجم أيضا كلمة (curent) إلى تيار أو تيارات، وتتضمن ما يعني تيار مائي أو هوائي (هواء أو ماء متحرك) أو تياركهربائي (كهرباء يمر عبر السلك)". وفي اللغة يشير معجم مقاييس اللغة إلى أن كلمة (تيار) بمعنى "موج البحر الذي ينضج الماء"[4]

وعليه: التيارت لغة تعني حركة وافدة تتاثر باتجاهات الريح فتتباين خصائصها وصفاتها تبعا لذلك.

التيارات اصطلاحا:

لقد وردت الكثير من التعريفات الاصطلاحية لكلمة تيارات ويرجع ذلك إلى التنوع البيئي الذي شهده تاريخ البشرية وكذلك الاختلاف الذي نجم من خلاله كثرة العوامل التي أدت إلى نشأة التيارات ناهيك عن الرموز التي ميزتها، ومن بين التعارف نذكر ما يلي:

هي "مجموعة من الآراء والنظريات الفلسفية الفكرية الوافدة، ارتبط بعضها ببعض ارتباطا منطقيا، حتى صارت ذات وحدة عضوية منسقة ومتماسكة"[5]

كما نجد بأنها "الحركة المندفعة كالموج، تكتسب صفة الشمولية والجماعية، فتنتقل عبر الأشخاص وعبر حامليها إلى أكثر من مكان، ولها أثرا في الحياة الاجتماعية والسياسية، بالتالي ما لم يؤثر اجتماعيا وسياسيا لا يسمى تيارا، وهو ما يصوغ أنظمة وقوانين مثل الرأسمالية، والديمقراطية، والعلمانية وغيرها، فالتيار ما اكتسب زخما فكريا وتطبيقا اجتماعيا وتأثيرا سياسيا في الحياة[6].

[4] جميلة بنت عبادة الشمري، مفهوم التيارات الفكرية وعلاقته بالمصطلح ذات الصلة، شبكة الألوكة، 2016، ص10

[5] انظر: المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، ص317

[6] جميلة بنت عبادة الشمري، مفهوم التيارات الفكرية وعلاقته بالمصطلح ذات الصلة، ص10

– الفكرية:

الجانب الاشتقاقي للمصطلح:

" الأفكار: جمع فكر، يقال: فكر يفكر تفكيرا، إذا أعمل خاطره في الشيء"[7]

المفهوم اللغوي:

تنسب كلمة فكرية إلى الفكر، والفكر هو: إعمال الخاطر في الشيء، والتفكير هو: إعمال العقل في قضية من القضايا لوصول إلى الحقيقة فيها[8]

المفهوم الاصطلاحي:

أما عن الدلالة الاصطلاحية لكلمة "فكر" فلا تترك إلا بالقيد، فالفكر العام إعمال الخاطر في الشيء بلا قيد ولا شرط، ولا ريب أن الخاطر غير معصوم، ومن ثم فالنتائج تحتمل الصواب والخطأ، وتحتاج المعالجة والتقويم، ولذا قرر أهل العلم أن نتاج الخاطر في مقام الظن، فما يقر اليوم ينقذ في الغد، ويستمر في إطار المعالجة والتقويم، والجانب التجريبي خير أنموذجا على هذا، ونتاجه مقيد لأنه صادر عن مقيد –الخاطر–، والمقيد في مقام الظن، والظن لا يبلغ رتبة اليقين بحال[9]

التيار الفكري:

يشير إلى حركة فكرية تنتهجها مجموعة من الأشخاص أو الجماعات المتبنية لفكرة أو اتجاه واحد، ويكون هدفهم من ذلك تغيير النظام القائم بأبعاده المختلفة، سواء كانت سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، واستبداله بنظام يحمل أفكار جديدة، والتيار أوسع وأشمل من المدرسة، كما أن المدرسة لها مؤسس بخلاف التيار.

[7] للمزيد من الاطلاع أنظر: لسان العرب، ص04، ص97

[8] المرجع نفسه، ص5 - 345

[9] أحمد الإمام ابراهيم، التيارات الفكرية، المفهوم – مراحل النشأة – عوامل التطور – فقه المواجهة. حولية كلية الدعوة الإسلامية، القاهرة، المجلد الأول، العدد 22، 2020، ص144

وتشمل التيارات عدة أنواع على سبيل:

التيار المثالي

التيار العقلي

التيار التجريبي

التيار الوجودي ...ألخ

- المذاهب الفكرية:

- المذهب:

المذهب عند الفلاسفة مجموعة من الآراء والنظريات الفلسفية ارتبطت بعضها ببعض ارتباطا منطقيا حتى صارت ذات وحدة عضوية منسقة ومتماسكة، والمذهب أعم من النظرية Theorie، ويغلب على أصحاب المذاهب أن يرجعوا نظرياتهم وآرائهم إلى عدد محدود من المبادئ، من غير أن يطابقوا بينها وبين شروط الواقع مطابقة تامة"[10]

المذاهب الفكرية:

تعني المذاهب الفكرية "آراء وأفكار اجتهادية، فيما يخص شؤون الكون وخالقه والإنسان والمجتمع، يؤخذ منها، ويرد عليها، ظهرت كحلول مؤقتة، ايتجابة لتحديات حضارية، أوجدتها ظروف تاريخية معينة"[11]

وصح نسبة المذاهب إلى الفكر لأن الفكر مصدرها، ومن ثم فهي أيضا تحتمل الخطأ والصواب، وتحتاج المعالجة والتقويم، ومرد هذا كله للمعصوم، ولا عصمة إلا للوحي الصحيح الصريح.

[10] جميلة بنت عيادة الشمري، مرجع سابق، ص10

[11] أحمد الإمام ابراهيم، التيارات الفكرية، المفهوم – مراحل النشأة – عوامل التطور – فقه المواجهة، مرجع سابق، ص145

وبتوضيح آخر:

هي صناعة العقل ومسرح نشاطه الذهني وعطاؤه الفكري، فيما يعرض له من قضايا الوجود والحياة سواء أكان صوابا أو خطأ[12]

النزعة الإنسانية:

ظهرت النزعة الإنسانية في البدايات الأولى لعصر النهضة، بهدف إعادة إحياء التراث اليوناني وبلورته من جديد للتوظيف، حيث تجلت النزعات الإنسانية في عديد الصور والإشكال، كل على حساب التوجه والمجال الذي ينتمي إليه (فلسفة، فنون، آداب ..الخ)، كما أولت النزعة اهتماما بالغ الأهمية للإنسان كونه الوحيد الذي يستطيع مسايرة الطبيعة والحياة.

ووردت تعارف مختلفة للنزعة الإنسانية نذكر منها:

المفهوم اللغوي للنزعة الإنسانية:

إن مصطلح الأنسية والنزعة الإنسانية والأنساوية ...تأتي في اللغة العربية كترجمات للمصطلح الفرنسي Humanisme والذي يشتق من اللغة اللاتينية وتحديدا من كل Humanistas والتي تعني في اللاتينية: "تعهد الإنسان لنفسه بالعلوم الليبرالية التي بها يكون جلاء حقيقته كإنسان متميز عن سائر الحيوانات" [13]

التعريف الاصطلاحي:

يعرفها "أندري لالاند" ANDREE LALAND في قاموسه الفلسفي بقوله: "بأنها حركة فكرية يمثلها "إنسانيو" النهضة وتتميز بمجهود لرفع كرامة الفكر البشري وجعله جديرا ذا قيمة وذلك بوصل الثقافة الحديثة بالثقافة القديمة ... اما في القاموس الإنجليزي فتعرف بالمذهب

[12] للمزيد من الاطلاع أنظر: أحمد الإمام ابراهيم، مرجع سابق ص145

[13] حمزة نايلي دواودة، الإرهاصات التاريخية للنزعة الإنسانية، مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية والإنسانية المعمقة، العدد14، 2023، ص15

الإنساني، سادت هذه الحركة الفكرية في عصر النهضة الاوروبية، تدعو إلى الاعتقاد بالفكر الإنساني، ومقاومة الجمود والتقليد يرمي بوجه إلى التخلص من سلطة الكنيسة وقيود القرون الوسطى... [14]

والنزعة الإنسانية باختصار هي ذلك التوجه الفكري الذي يتفاعل فيه الإنسان ويوظف جميع طاقات وممكناته بغرض التحول إلى ما هو أفضل والهدف من وراء ذلك هو بلوغ اعلي المراتب في هذا الوجود، إلا أنها المصطلح كثرت وتعددت معانيه ودلالاته وعلى سبيل المثال: الهيومانيزم – الإنسانية – الإنسية – الأنساوية – لكن لا يوجد تباعد بينهم بحيث أن لهم مدلول واحد ومتقارب

كما أن النزعة الإنسانية مرت بتطورات عبر العصور والمراحل أهما:

– الفترة اليونانية

– فترة العصور الوسطى

– الفترة الحديثة ثم المعاصرة

استنتاج

يبدوا مما سبق ذكره أن جميع المصطلحات وإن كان لها تعاريف متعددة ومختلفة إلا أنها تجمع بين الهدف المرجو وهو التوظيف الصحيح لبوغ الحقيقة، وهذه الأخيرة شهدت مجموعة من الاتجاهات والأنساق الفكرية التي تندرج ضمن سياق النزعات الفكرية والإنسانية لأنها السبيل إلى تصنيف العلوم والتوجهات على حساب الإطار الزمكاني، فلكل مرحلة من مراحل تاريخ الفكر الإنساني خصوصياته في البحث، ويتجلى ذلك في الآليات والأدوات

[14] للمزيد من الاطلاع أنظر: حمزة نايلي دواودة، مرجع سابق، ص15 وما بعدها.

المستخدمة على غرار المنطلقات الفكرية والإنسانية.سواء تعلق الأمر بالجانب النقدي او الإبستمولوجي او الميتافيزيقي أو تيار الفلسفة الأخلاقية إلى غيرها من المجالات الأخرى.

المحاضرة الثانية: التيار المثالي

تمهيد

نهتدي من خلال هذه المحاضرة إلى إبراز الحقيقة التي تعكس صورة التيار المثالي بيان المفارقة بينه وبين التيارات الأخرى عن طريق نماذج فكرية أسسها روادها منذ الفترة القديمة. ولبلوغ ذلك سنستعرض أهم النقاط الرئيسية التي تنبني عليها المثالية كالتجريد عن الذات والاستقلالية عن الواقع الذي لا يرمز على للدقة والتعالي أثناء دراسة الظواهر والأشياء، كما سنتطرق إلى الإشارة للتصورات الفكرية التي انبثقت من خلال تأسيس معايير يسير وفقها التيار المثالي والتي جاء بها الفلاسفة الكبار أمثال: أفلاطون – ديكارت – وآخرون. وبتوضيح أكثر علينا معرفة الجوهر الذي تنطلق منه المثالية بناء على التساؤلات ت التي تتعلق بمواضيعها كالبحث في الوجود والأخلاق وموضوع الجمال...

تعريف المثالية:

المعنى اللغوي:

في المعاجم العربية

في معجم اللغة العربية المعاصرة

"مثالي Ideal: اسم منسوب إلى مثال: وصف لكل ما هو كامل في مجاله، ويقتدى به خلق أو زوج."[15]

[15] محمود كيشانة، " المثالية، مفهومها وأنواعها وفلاسفتها"، سلسلة مصطلحات معاصرة، العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، ط1، 2018. ص14

في المعجم الوسيط

تعني بكونها "مصدر صناعي، في الفلسفة مذهب فلسفي يجعل الفكر خاضعا لتصور ذهني وحقيقة عليا فوق كل ما هو موضوعي ومادي، في الفن والأدب هو تمثل الأشياء نماذج ترمز إلى قوة جوهرها في الأخلاق، الدعوة إلى الكمال الإنساني، وجعل الإنسان غاية أخلاقية نموذجية"[16]

المثالية:

تعد المثالية" مبدأ في الحياة، ونهج يتخذ الحقائق السامية مثلا يستهدي به، ويبتعدان بالإنسان عما شد به إلى الأرضيات".. المعنى الأول تعني المثالية فيه الكمال أي كمال الشيء وتمامه... المعنى الثاني تعمي المثالية الخروج على الشائع أو المألوف بطريقة إجابية مميزة ... ثالثا– تعني المثالية فيه القدوة والأسوة التي يمكن الاقتداء بها في مختلف المجالات .. [17]

المعنى الاصطلاحي:

المثالية عند عامة الناس:

"الوصول إلى درجة الإجادة والإتقان فكرا وعملا"[18]

الفلاسفة:

أفلاطون:

يعد أفلاطون واحد من أشهر رواد الاتجاه المثالي الذي أقام فكره انطلاقا من التصورات التي ينتجها العقل الإنساني بعيدا عن العالم الذي يسوده الشوائب والموانع التي تسود الواقع أو

[16] ا محمود كيشانة، " المثالية، مفهومها وأنواعها وفلاسفتها، مرجع سابق، ص14
[17] المرجع نفسه ص15
[18] المرجع نفسه ، ص19

العالم الحسي وعليه، فالمثالية وفق رأيه " تعني إن العالم في حقيقته مجموعة من الأفكار والصور العقلية، وأن المعرفة مصدرها العقل، وهذا العالم الحقيقي العقلي يعد نموذجا للعالم المادي وكل فكرة فيه تعد مقابلة لموجود ما جزئي في العالم المحسوس الظاهر، فالعالم العقلي هو الحقيقي، والعالم المحسوس عالم الضلال غير الحقيقي كما بين في أسطورة الكهف "[19]

باركلي:

إن التصور الذي قدمه "باركلي" حول المثالية لا يكاد يختلف عن ما قدمه أفلاطون ولعل القاسم المشترك بين هذا وذاك مصدر انبثاق المعرفة وصدورها، وبتوضيح آخر فالمثالية عند باركلي " هي تلك التي تعتمد على العقل في الإدراك، والربط بين إدراك العقل ووجود الشيء، فما يدركه العقل فهو موجود وحقيقي، وما لا يدركه العقل فهو عدم غير موجود، مستندا في ذلك إلى فكرته عن إنكار المادة، في نظريته الشهيرة عن اللامادية"[20] إذن فالمعرفة الحقيقية لا تقتصر على ما تقدمه الحواس وما يكشفه لنا الواقع، بل مدركاتنا مرهونة بإعمال دور العقل الفعال وما ينجمه عنه.

كانط:

يمكن القول أن موقف كنط تجاه يكاد يربط بين ما هو عقلي وما هو عملي من خلال الثورات التي أقامها ضد الفلسفات القديمة والتقليدية، والمقصود من وراء ذلك الفلسفة الأخلاقية، التي يرى فيها ضرورة تأسيس مبادئ صلبة ومتينة، نستطيع أن نبني عليها النظرة الأخلاقية، وعليه يمكن القول الفلسفة الكانطية " تقوم بالأساس على الربط بين

[19] أنظر أفلاطون، جمهورية أفلاطون، تر: فؤاد زكريا، ط المؤسسة العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1968، انظر أسطورة الكهف.

[20] Berkeley, philosophical commantries S 429. P52. 53
انظر باركلي المحاضرات الثلاث بين هيلاسي وفيلونوس، تر: ديخيى هويدي، ط القاهرة، دار الثقافة لطباعة والنشر، 1976، ص 140 ومابعدها

المقولات العقلية والمعرفة، إذ أن هذه المقولات شرط ضروري للبناء المعرفي، كما تقوم على تأسيس البناء الأخلاقي على مبدأ الواجب والإرادة الطيبة"[21]

أسس ومبادئ التيار المثالي:

1-أساس الوجود او التصور عن الكون:

ترتكز فكرة التيار المثالي على إن هناك عالم روحاني إلى جوار العالم المادي بحيث أنه يتشكل من المادة والروح كما يمكن القول أن لديه اهتمام أكثر من العالم المادي وذلك لأن العالم الروحاني يمثل الأساس أما ما يتعلق بالعالم المادي فهو فقط ظل له، هذا غن دل على شيء فإنما يدل على أن الإنسان لا يرقى إلى الوصال غلى العالم الروحاني إلا إذا توفرت فيه شروط التربية الروحية العالية، حيث لا بد ان تحظى هذه التربية مراعاة أكثر على غرار الجوانب الأخرى كالجمال والصحة والفن وغيرها من الجوانب.

في هذا السياق يرى "مرسي" أن "المثالية تنظر إلى العالم أنه عالم العقل والروح وليس عالم الروح وليس عالم الواقع، وأن هذا العالم قد رسمته عقولنا وأرواحنا، وهكذا تختزل المثالية الكون بكل ما فيه إلى عنصر واحد هو "الروح أو العقل" التي يجب أن تفهم على أنها التجرد الكامل من المادية"[22]

2- أساس الطبيعة البشرية:

وفقا لما أسلفنا الذكر سابقا يمكن التوضيح في هذا العنصر أن طبيعة الإنسان منذ انوجاده على سطح الأرض أنه يتشكل من قسمين ممثلين في العقل (الروح) والمادة (الجسم). هذا ما أكده أفلاطون بحيث يفهم من هذا ان الروح ننظر إليها نظرة خالدة لا تزول مع مرور الزمن ولا تتغير أو تضمحل، بينما الشق الثاني (الجسم) يخضع للزوال والتفكك بعد النمو والتطور،

[21] محمود كيشانة، " المثالية، مفهومها وأنواعها وفلاسفتها"، مرجع سايق، ص22

[22] مرسي، محمد منير، فلسفة التربية واتجاهاتها ومدارسها، القاهرة، مصر، عالم الكتب، القاهرة، 1993، ص163.

وعليه العالم الروحي عالم التجلي والمثال الذي تنطبق عليه صفة المتعالي التي تضم الخير والحق والجمال والعالم الذي تتجسد فيه العدالة المطلة والخير الأسمى، أما ما يمكن للإنسان أن يدركه عن طريق حواسه فكله يندرج ضمن عالم مادي من صنع الإنسان نفسه.

لذا "فالمثالية تنظر إلى الإنسان نظرة ثنائية أي أنه نفس وجسم، وأن النفس جاءت من عالم المثل، وحلت في الجسم لتقضي حكما بالسجن صدر عليها وبعد الموت ستعود مرة اخرى إلى عالم المثل[23]

3-الأساس المعرفي وطبيعة المعرفة في الفلسفة المثالية:

حسب ما أورده رواد الفلسفة المثالية نجد انقسام الطبيعة الإنسانية إلى عالمين (روحي – مادي) دليل قاطع أن هنالك معرف مسبقة تتجلى في عقل الإنسان مصدرها عالم الأرواح قبل تشكل جسم الإنسان، وعلى هذا الأساس فإن الحواس لا يمكنها إن تكون مصدرا للمعرفة لدى الإنسان، فاختزال روح الإنسان في الجسم (المادة) يجعل من أعضاءه أن تمثل دور المساعد في التعرف والنمو وكذا التطور حيث يرى اليماني أن هنالك نوعان من المعرفة لدى المثاليين:

"معرفة حقيقية أزلية الأفكار أداتها العقل، فالحقيقة النهائية والمعرفة المطلقة موجودة في العالم العلوي، وهي عبارة عن الأفكار العامة الثابتة والشاملة، والمثل النقية الأزلية وهي خالدة لا تتغير ووظيفة العقل هي البحث عن المعرفة الحقيقية المطلقة"[24]

4-الأساس القيمي في التيار المثالي:

يعد التيار المثالي من التيارات التي ترى الإنسان كائن يتميز عن باقي الكائنات الأخرى بعدة صفات يمكن من خلالها أن ينفرد بعالمه الخاص وهو عالم القيم والمثل العليا التي ترافقه في

[23] فرحان محمد جلوب، "دراسات في فلسفة التربية"، الموصل، العراق، مطبعة التعليم العالي، ص47

[24] اليماني، عبد الكريم علي، فلسفة التربية، دار الشروق، عمان، الأردن، 2004، ص63.

حياته والتي تتسم بالجودة سواء على مستوى الأخلاق أو الفن أو الجمال أو غيرها من القيم الأخرى وبالتالي هو بمثابة الركيزة الأساسية التي تسطر للأجيال الصاعدة كيف تعيش وكيف تصنع مجتمع تسوده العدالة والطمأنينة ليتجسد عن طريقها الكمال والسعي نحو المطلق، وعلى سبيل ما يراه أفلاطون أن " العالم المادي الذي نعيش فيه لا يستحق الاهتمام لأنه أشباح فانية وإنما الذي يستحق الاهتمام هو عالم القيم الروحية والمثل العليا لأنه حقائق خالدة، وهي تتمثل في الخير والجمال والحق، وأن الخير هو الحق، وأنهما يتضمنان الدين والخلق."[25]

بيد إن الاهتمام والحرص على المثالية من طرف الكثير من المفكرون والفلاسفة منذ القدم لم يأت من العدم أو الصدفة، بل هو نتاج لجملة من المبادئ التي جعلت منهم الخروج بهذه الرؤية السامية وفق نظرهم لا بد من السير وفقها حتى ينفتح الإنسان على عالم يسوده النقاء والصفاء في جميع المجالات التي يعيش وسطها، ومن المبادئ الرئيسة التي تتميز بها المثالية ما يلي:

" – النظر إلى العالم نظرة ازدواجية. فهناك عالم الأفكار (المثل) وهو العالم الحقيقي، والعالم الآخر وهو العالم الأرضي وهو الظل للعالم الحقيقي، وأن الحقيقة النهائية موجودة في عالم الأفكار، وهي ليست من صنع الفرد أو المجتمع لأنها مطلقة وشاملة...

– تنظر إلى الإنسان نظرة ازدواجية فهو مكان من عقل او روح وجسم، وترتكز على الروح أو العقل، وتهمل الجسم...

– تنظر إلى الكون المادي من خلال الذات العارفة وتعلق وجوده على وجود العقل الذي يدركه، وأن الأشياء هي مصدر الفساد وأصل المعرفة الظنية"

[25] Mrs, nadha Mutlaq Albogami, The idiel theory in plato s philosophy and it s relevance to man and the universe, Arab Journal of Science Raecherch publishing (AJSRP) . VOL 9. Issue 3 (2023) .p21.

يتضح من خلال هذه المبادئ أن التيار المثالي أو بالأحرى الفلسفة المثالية أنها تلتقي مع ما دعت اليه الديانات السماوية قديما وما ترمز إليه كم خلال الكشف عن النمط الحقيقي لتشكل المعرفة لدى الإنسان، ومن المبادئ التي يمكن الإشارة إليها كذلك أنها:

"– تكمن الجذور العرفانية للمثالية في المبالغة في جانب واحد من جوانب عملية المعرفة المعقدة، وتضفي صفة الإطلاق وتفصله عن الواقع والجانب المادي.

– تفسر نشوء الأفكار من تلقاء نفسها مستقلة عن الواقع....

– تعتبر أن العقل البشري جزء من العقل الكلي الشامل المتغلغل في الكون، والمعرفة الحقيقية هي من نتاج هذا العقل والحقيقة كامنة في أفكار العقل فالمعرفة مستقل عن الخبرة الحسية.

– القيم ثابتة لا تتغير، ويتوصل إليها العلماء والعظماء عن طريق الإيحاء ولا يجوز الشك فيها، وصالحة لكل زمام ومكان ..."[26]

مذاهب التيار المثالي:

أ– المثالية التقليدية:

يطلق على هذا نلوع من المثالية بالمفارقة، وهناك من أورد لها اسم المثالية الإلهية، ولعل أبرز الفلاسفة الذين ينسب إليهم هذا النوع الفيلسوف اليوناني "أفلاطون"، ذلك بناءا على تفرقيه بين عالمي المثل والحس، ليكشف من وراء ذلك أن ثمة هنالك عالم حقيقي متمثل في عالم المثل والمعبر عن الصور التي توجد لدرى الأشياء في الواقع المحسوس.

بيد أن فريق آخر أطلق على هذا المثالية اسم المثالية الوجودية، " على اعتبار أنها تربط بين الفكر والوجود، ومع الأخذ في الاعتبار أنها تضع حدا فاصلا بين وجود الفكر وفكر الوجود،

[26] Ibid, p22

الوجود الحسي عند أفلاطون ليس موضوعا للفك، لأن الوجود الوجود الحقيقي عنده هو عالم الأفكار، فالوجود وليس الفكر هو الذي يكمن في الوجود[27]

ب- المثالية الذاتية: "ديكارت Rene Descartes (1596 – 1650):

يعد ديكارت من الفلاسفة الأكثر تأثيرا في الساحة الفكرية على عقود كبيرة من الزمن الماضي، تحديدا مع فترة الحداثة حتى انه لقب ب: أبو الفلسفة الحديثة، وكون ديكارت فيلسوف مثالي الفكر إلا ان مثاليته أحدثت مفارقة كبيرة مع المثالية الأفلاطونية تجدر الإشارة هنا إلى المثالية التقليدية الأفلاطونية والمثالية الذاتية عند ديكارت، هذا الأخير الذي قام بإبراز الجانب اللاهوتي لمثاليته والدور المنوط الذي أدته، ليصرح في الكثير من كتاباته على أهميته، كقوله: "يكفينا نحن معشر أن نعتقد بطريق الإيمان بأن هنالك إلها وبأن النفس الإنسانية لا تفنى بفناء الجسد، فيقيني أنه لا يبدو في الإمكان أن نقدر على إقناع الكافرين بحقيقة دين من الأديان، بل ربما بفضيلة من الفضائل الأخلاقية، أن لم نثبت لهم أو لا هذين الأمرين بالعقل الطبيعي"[28]

إن ديكارت في هذا المسعى ومن خلال ما سبق ذكره لا يهتم بتوضيح الجانب الإلهي والاقتناع بالعقيدة التي ينتمي إليها كل فئة سواء المؤمنين منها أو الكافرين بقدر ما يستحضر أقواله المثالية لديها دور مهم للغاية في الشرح رفع اللبس بكفاءة وواقتدار ويقين في المعنى والتوضيح، خاصة عند شدة الاختلاف، كله يستند إلى العقل والفكر المثالي الراقي، فعلى سبيل قوله أيضا: " ...غير ان مجمع لتران المنعقد برياسة البابا ليون العاشر، وما قرره من إدانة هؤلاء (أي الكافرين) ودعوته الفلاسفة المسيحيين دعوة صريحة إلى الرد على أقوالهم، واستعمال أقصى ما تمتلك عقولهم من قوة لإظهار الحق، كل هذا قد جرأني على محاولة ذلك في هذا الكتاب"[29]

[27] للمزيد من لاطلاع، أنظر إلى: محمود كيشانة، " المثالية، مفهومها وأنواعها وفلاسفتها"، مرجع سابق، ص62.
[28] المرجع نفسه، ص 63.
[29] ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة: د. عثمان أمين، القاهرة، مكتبة الانجلو، القاهرة المصرية، 1980، ص41

يتبين من خلال القول أن ديكارت وانطلاقه من المثالية الذاتية كان بصدد اختبار للمعارف الموجودة والقوى التي تمكننا من اكتساب المهارات العقلية، كل هذا يندرج ضمن البحث في الواقع المعاش والقدرات الذات أو بالأحرى الذات العارفة، مخالفا لنظيره أفلاطون.

وأيا ما كان الأمر فإن المثالية الذاتية الديكارتية تنطلق من الكوجيتو الديكارتي: " أنل أفكر إذن أنا موجود" ذلك أنها تحدث تجاوبا من نوع ما بين المثالي الذاتي والتفكير العملي المؤسس على التأمل الفلسفي، فأنا أفكر يعني في التفكير الأخير أنني موجود، فالوجود الديكارتي مرتبط بالفكر، ولكن على معنى مغاير لما ذهب إليه أفلاطون ...فإنه كان شديد التصميم على الشك في كل ما تعلمه من قبل، وأن يمضي في شكه هذا غلى أبعد حدوده، بادئا النظر كله من جديد.[30]

ج- المثالية النقدية: إيمانويل كانط "1724 – 1804م"

يعد كانط واحد من الذين تصدوا للفكر الديكارتي الذي قام على نسق معرفي محدد وكذلك باركلي الذي خاض تجربة المثالية اللامادية إلا انه وقع في بؤرة المثالية القائمة على مجموعة من المبادئ التي أرست للفكر المثالي دعائم الثورة على الواقعية وما تقدمه من معارف نسبية، وفي هذا العنصر سنستعرض أهم المرتكزات الرئيسة التي أطلق منها الفيلسوف كانط نحو تأسيس المذهب المثالي.

- " المثالية عند كانط حركة دائرية، فهي مثالية ذاتية يتولد عنها واقعية شرفية، استنادا إلى أن الفكر الكانطي يميز في ذاته بين إرادة العقل الحرة وعملية استقبالها للحسيات، وهذه العملية المزدوجة تطرح افتراضا عند كانط لحالة وجود محايدة لا تنتمي للعقل ولا للمادة الخام، هذه الحالة يسميها كانط الوجود في ذاته"[31]

[30] للمزيد من الاطلاع انظر: محمود كيشانة، " المثالية، مفهومها وأنواعها وفلاسفتها"، مرجع سابق، ص 65.

[31] محمود كيشانة، " المثالية، مفهومها وأنواعها وفلاسفتها"، مرجع سابق، ص 70/ ص71

– السعي إلى الفصل بين العالم الخارجي عن الذات العارفة بقوله " ... ما أطلقت عليه اسم المثالية لا يمس وجود الأشياء، ولم يخطر ببالي قط أن أشك في وجودها .."[32]

– الفكر حاصل بذاته على شرائط المعرفة، وأن الأشياء تدور حوله، لكي تصير موضوع إدراك وعلم، ولا يدور هو حولها كما كان المعتقد من قبل، وهذه هي الثورة التي أحدثها كانط في عالم الفكر، وشبهها بالثورة التي أحدثها كوبرنك في علم الفلك

– " مثالية خاصة تنظر لإشكالية الزمان والمكان المرتبطة بالأشياء نظرة مختلفة عن ذي قبل، فهو اعتمد في حل هذه الإشكالية على أساس أن الزمان والمكان بكل ما يشتملان عليه ليسا الأشياء ولا صفات الأشياء الذاتية، وإنما لها علاقة بظاهرياتها، أي الظاهر منها"[33]

– التركيز على معيار القيم القائم على إرساء قواعد الفن والجمال والأخلاق التي هي بمثابة محورا رئيسيا ومهم في حياة الإنسان بشكل عام حيث يبرز أن مصدرها الذات، أما الفعل الأخلاقي ينبع من العقل دون أي اعتبار آخر، ليثبت عن طريق ذلك ان إثبات وجود الله يأت عن طريق العقل العملي المسئول عن القواعد الأخلاقية، ليتبين أن كانط عوض أن يؤسس الأخلاق على الدين أقام اللاهوت على أساس الأخلاق.

– " نظام العقل الخالص بما ينطوي عليه من مثاليته يقول عنه: " ليس لمثل هذا أن يسمى مذهبا علميا، بل هو ينبغي إلا يسمى إلا نقد العقل الخالص، فلا تكون فائدته الفعلية إلا فائدة سلبية، إذ هو لا يستهدف توسيع مجال العقل، بل تطهيره وحفظه من الأخطاء ... ومن ثم فمن الواجب أن تسمى الفلسفة التي تشمل هذا فلسفة متعالية"[34]

[32] إمانويل كانط، مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة، تر: نازلي اسماعيل حسين، فتحي الشنيطي، تقديم عمر مهيبل، موفم للنشر، الجزائر، 1991، ص51

[33] محمود كيشانة، " المثالية، مفهومها وأنواعها وفلاسفتها"، مرجع سابق، ص 72 / ص73.

[34] محمود كيشانة، " المثالية، مفهومها وأنواعها وفلاسفتها"، مرجع سابق، ص74.

استنتاج

يمكننا القول بعد التفصيل في حيثيات التيار المثالي أنه عمل على إقصاء الكثير من المبادئ التي تمكننا من الوصول إلى الحقيقة التي لا تتشكل من خلال التوظيف المطلق للعقل أو ما سمي بالعقل الخالص، هذا إن دل على شيء إنما يدل على وجود عديد الآليات التي بإمكانها الحصول على المعرفة والحقائق التي تميز الظواهر والأشياء، وعلية الجانب المثالي ينتهج كل طريقة تسموا بالأفكار إلى عام المثل، عالم النقاء والصفاء، العالم الذي يعمل على تطهير النفس ويراعي الجاني الجمالي والفني للأشياء ورفعها من الواقع حفاظا على حقيقتها الخالصة وتنقيتها من الشوائب.

المحاضرة الثالثة: التيار المادي

تمهيد:

تباعا لما ورد في المحاضرة الأولى والتي أوردنا من خلالها التعريف بالتيار المثالي الذي تمخض عن العديد من الرؤى والتوجهات التي كشفت لنا جملة المبادئ والتعريفات التي اتسم بها التيار المثالي انطلاقا من المفكر اليوناني "أفلاطون" ووصولا إلى فلاسفة العصر الحديث وعلى رأسهم رونيه ديكارت، حيث لا سبيل للحصول على المعرفة إلا عن طريق الارتقاء والسمو عبر العالم المثالي أو بالأحرى سمو الروح التي تتجلى فيها أنواع الصفات والمجلات المعرفية سواء تعلق الأمر بالأخلاق أو الفن أو الجمال ..إلى غيرها من المجالات المعرفية الأخرى.

ها هنا الآن نستعرض واحدا من التيارات الفكرية الرئيسية والتي أحدث هو الآخر مواقف كبيرة تجاه مصدر المعارف والأفكار، وهو التيار المادي الذي يؤمن بالواقع وما تنتجه الحواس، أو بعبارة أخرى التصور المادي للكون والإنسان والمجتمع والتاريخ والمعرفة، وكذا انعكاساتها على مجموعة القيم الأخلاقية والجمالية التي يتحلى بها الإنسان، إضافة إلى ذلك نسعى إلى تبيان ابرز رواد التيار المادي وأطروحاتهم الفكرية تجاه ما تقتضيه.

المادة والمادية: Matiere – Materialisme

لغة:

كل شيء يكون مددا لغيره، ومادة الشيء أصوله وعناصره التي يتركب منها حسية كانت أو معنوية كمادة البناء ومادة البحث[35]

[35] جميل صليبيا، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص306.

اصطلاحا:

هي الجسم الطبيعي الذي نتناوله على حاله أو نحوله إلى شيء آخر لغاية معينة مثل الخشب الذي يصنع منه التمثال، فهو مادته، أما صورة التمثال فهي شكله، والمادة في الاصطلاح الأرسطي هي المعنى المقابل للصورة، ولها وجهان: الوجه الأول هو دلالتها على العناصر غير المعينة التي يمكن أن يتألف منها الشيء، وتسمى مادة أولى أو هيولي، وهي إمكان محض لا تنتقل إلى الفعل إلا بقيام الصورة فيها، والوجه الثاني دلالتها على المعطيات الطبيعية والعقلية المعينة التي يعمل الفكر على إكمالها وإنضاجها. ... إن مادة المعرفة هي المعطيات الحسية التي يتألف منها مضمون الفكر[36]

الفلسفة المادية:

يعد التأصيل للفلسفة المادية التي تؤمن بأسبقية الواقع عن الفكر حيث تشهد النسبية في إطار الجزء بدل مطلقية الكل الذي يرجع إلى القرنين السادس والخامس قبل الميلاد، فالفلاسفة الأوائل نظروا للفلسفة المادية على أنها موضوع ثم موضوع ومنهج لقي تطورات مفاهمية ومقاربات واقعية أكثر ارتباطا بالوضعية المادية في العصر الحديث، إذ يمكن القول بأن التيار المادي هو ذلك التيار الذي يعمل على تفسير الأشياء استنادا عرى الأسباب المادية، وهذه الأخيرة هي جوهر المفارقة مع كل من يدعي أن الروح والعقل هو مصدر للمعرفة حيث تشمل جميع الاتجاهات والنزعات التي تتفق حول هذا الأساس.

التطور الكرونولوجي للتيار المادي:

في اليونان:

رغم تطور التيار المادي مع الفترة الحديثة من خلالها تعدد التنظيرات والبحث في مكنوناتها ودلالاتها إلا بذرتها الأولى كانت مع الفلاسفة الطبيعيون القدامى (طاليس – أنكسيمانس –

[36] المرجع نفسه، ص 306

هيراقليطس)، الذين كانوا أكثر ارتباطا بالوضعية المادية كما قال "إنجلز" " ديالكتيكيين بالطبع، لقد أدهشتهم واقع أننا نصادف التغير والحركة في مكان، وأن الأشياء ليست منعزلة ولكن مرتبطة بصورة وثيقة ببعضها البعض، مما يعني أن الوجود محكوم بقانون الصيرورة والتغير والتحول، وأن الأحداث نسبية ومحسوسة في عالم المادة ومتغيرة وفقا لمنطق الحتمية السببية القائمة على التناقض بين الموضوعات والتضاد من الأسفل إلى الأعلى"[37]

يرى أنصار الفلسفة المادية اليونانيين أن العالم يتطور والأفعال تتغير وتختلف من وقت لآخر بحيث أن المادة تخضع لتنوع النظر وليست ثابتة بالشكل الذي نستطيع التعميم من ورائه لما يلحقة من اثر واختلاف، هذا ما يشير إليه هيرقليطس أن لا شيء جامد بل كل شيء يسيل والمرء لا يمكنه الاستحمام في النهر ذاته مرتين، لأن الإنسان الأول الذي سبق له الفعل يتغير مع الفترة الأخرى التي يعد فيع قيام الفعل نفسه والنتيجة تختلف بين هذا وذاك.

"لقد توصلت الفلسفة اليونانية القديمة إلى فهم صحيح موضوعي للعالم وإن كان ساذجا ابتدائيا، فقد رأت أن العالم بمجموعه يؤلف لوحة لا يبقى فيها شيء كما كان، فكل شيء يترك ويتغير ويذهب، وكان هيرقليطس أول من عبر عن هذه الحقيقة الدياليكتيكية"[38]

لم تكن المادية تشهد استقرارا من حيث التبني والموقف، إنما خضعت لمجموعة من التطورات نتيجة الأبحاث المستمرة في هذا التيار الذي لم يتوقف مع الفلاسفة الطبيعيون، "لأن الفكر الأرسطي سيطر على العقول أزيد من (20) قرنا: هكذا نشأت بعد قرنا ونصف قرن من الدراسات والأبحاث العلمية والفنية والتاريخية طرقة جديدة حلت محل ما كان الأولون يسمونه (المنطق) ...فالعقل الأرسطي الكلي لأرسطو سيطر على طبيع التفكير"[39]

[37] وفاء برتيمة، الفلسفة المادية بمخيال نسوي روزا لوكسمبورغ عقل كارل ماكس الثاني، ساسلة الانوار، المجلد 11، العدد 02، 2021، ص47
[38] المرجع نفسه، ص290
[39] وفاء برتيمة، الفلسفة المادية بمخيال نسوي، مرجع سابق، ص291

فترة النهضة:

رغم الصراعات التي شهدتها المادية مع التيار المثالي والذي كان مرد الرفض والتجاوز لكل ما هو مادي وأن الفكر والارتقاء إنما ينجم عن التعالي والمثل إلا أن " الارتقاء بالإنسان إلى التفسير العلمي وربطه بالطبيعة المادية لا بمؤشرات الدين والميتافيزيقا خلال فترة عصر النهضة والإصلاح والتنوير شهدت الفلسفة المادية تطورا رهيبة نتيجة تحرر العقل وتسليمه بالعقلانية المادية خاصة في انجلترا وفرنسا الذين شهدا ثورات تنويرية تقدم العلم والتطور الماديين شرط للحياة"[40]

الفترة الحديثة:

لقد تزامنت تأثيرات الدياليكتيك الأرسطي مع جملة البحوث الفكرية التي خاض فيها فلاسفة الفترة الحديثة ولا يسع في هذا سياق استحضارها كلية، لكن في الوقت نفسه يمكن الإشارة إلى أحد النماذج الأكثر حدة في التفكير الحداثي والأكثر تأثر بما يسمى الدياليكتيك وهو "هيجل" الذي تناول الموضوع من زوايا متعددة الطرح لأنها في الفلسفة الحديثة قد باسم هيجل قبل كل شخص، وعليه، ليس من السهل استرجاع الديالكتيكية التي يراها إلى العصور السابقة التي كانت رائجة فيها. لأنه ينظر إليها أنها السبيل والمسلك الذي يقود العقل إلى الكشف عن الحقائق، وبالتالي التناقض في مثل هذه المسائل واحد من الطبيعة الفكر والفلسفة عامة

إن الحديث عن " ديالكتيكية هيغل هو رؤية فلسفة منطقية لأنه في الوقت الذي يصف فيه واقعية وماهية الأشياء فإنه يطرح مسيرة الفكر، وهذا ما ينشأ من أصل انطباق العين والذهن في فلسفة هيجل، فهو لا يرى اختلاف وتنويه بين الواقعية والذهن، بل أن الذهن والعين

[40] المرجع نفسه، ص291

عنده واحد"[41] وبالتالي يمكن القول أن هيجعل سعى بفلسفته إلى محاولة نقل الأفكار من عالم المثل إلى الواقع الذي يعيش بداخل الإنسان عن طريق تجسيد الأفكار الداخلية كمشاريع حقيقة، بمعنى آخر تحويلها من عالم القوة إلى عالم الوجود بالفعل. وإذا ما اردنا التوضيح أكثر من خلال المنهج الدياليكتيكي لهيجل " يكون تبرير حركة الأشياء في الذهن والعين على أساس مثلث الأطروحة، والنفي، والتركيب، وفي الواقع فإن هيجل عمم المنهج السقراطي الذي هو عبارة عن صراع وجدل فكرة مع فكرة أخرى للخروج بفكرة جديد مع مرتبة أعلى لكل الوجود الذي هو أعم من الذهن والعين بحيث أنه قد جعل الديالكتيك بصورة تخرج من حالة الأمر الاختياري المنحصر في مجال الفكر والذهن إلى ضرورة وأصل ساري وجاري في كل أنحاء الكون[42]

لقد استخدمت الديالكتيكية منذ ظهورها حتى عصر هيجل بمعاني مختلفة، إلا أنه استخدمها (هيجل) بمعنى متمايز عما تطرق إليه الآخرون (القدامى)، وطان دمجها مع جميع الأسس والمبادئ الفكرية التي وظفها في حقبته لعل أهمها: أصل وحدة الذهن – الحركة الديالكتيكية – المثلث (النفي – التضاد – التفكير).

أمثلة عن المذهب المادي:

توماس هوبز:

يعد هوبز من أكبر رواد المذهب المادي والفلسفة المادية التي أخذت طابع استقرائيا في دراسة الظواهر والأشياء،ويتجلى ذلك في الفترة الحديثة حيث تشابهت نقاط الانطلاق في التفكير مع الفيلسوف كوبرنيقوس وجاليليو خاصة المنهج منها، حيث "يرى هوبز المادة والحركة هما المبدآن الأساسيان في العالم، وهو يقيم مذهبه على هذين المبدأين بطريقة استدلالية، ولم يكن هوبز في أصل تكوينه عالما طبيعيا ولكنه قبل آراء الطبيعيين

[41] طوبي كرماني، بحث مقارن حول الحركة في "الحكمة المتعالية " و "الحركة الدياليكتيكية"، مجلة الحكمة للدراسات الفكرية، العدد 31، 2014، ص52.

[42] المرجع نفسه ص52، ص53.

المعاصرين به[43] إذ يقوم مذهبه في المعرفة على افتراض أن الإحساس هو المصدر الوحيد لها، وقد بالغ هوبز في موقفه الحسي مما أدى به إلى عدم الاكتفاء بإرجاع إي إدراك أو تصور عقلي إلى بداية حسية، ثم يتجرد عنها ليصبح تصورا ذو طابعا ذهنيا خالصا "فقد ذكر هوبز أن أي تصور في عقل الإنسان إن هو إلا ذرة حسية ذات طابع حسي ومصدرها الإحساس، أما عن الإحساس نفسه فإنه يأتي نتيجة للضغط الذي يحدثه الشيء الخارجي على العضو الحاس سواء بطريقة مباشرة كما هو الحال في الذوق أو اللمس، أو بطريقة غير مباشرة كالبصر والسمع والشم[44]

المذهب التجريبي:

يؤكد في هذا السياق أنصار النزعة التجريبية أن معارفنا مستقاة من عالم التجربة التي بمكن الرفض من خلالها ما صرح به العقليون تجاه مصدر المعرفة (العقل والأفكار الفطرية)، ولعل دافيد هيوم "1711–1776) واحد من الحسيين الذين زعموا هذه الأفكار، وهذا يعني ان "المعرفة الإنسانية عاجزة خارج إطار المحسوسات التجريبية التي يمكن التعامل معها واقعيا امبريقيا. إذا ادعينا أي معرفة ممكنة خارج الذات، فهو مثل "بيركلي"، بهذا المعنى يؤكد ان أي ثقة لنا بمعرفة خارج ذواتنا ثقة نسبية لا مطلقة"[45]

استنتاج:

نخلص إلى القول في الأخير أن المنطلقات الفكرية التي استندت إليها المادية تعود مرجعياتها إلى الفترة اليونانية، كما نجد لها صلة وطيدة بفلاسفة الإنجليز، وذلك لكونها ترتكز على التجربة والمادة اللذان يمثلان المبدأين الرئيسيين للوجود، ناهيك عن صور التراكم الفكري النابع من التصور المادي والذي أضفى لفلاسفة العصر الحديث الكثير من التصورات التي اختلفت بين النقد من جهة والوقوف إلى جانبها من جهة أخرى.

[43] محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، الفلسفة الحديثة، "الجزر الرابع"، دار المعرفة الجديدة، الإسكندرية، 1996، ص40

[44] المرجع نفسه، ص41

[45] هاني يحي نصري، دعوة إلى الدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة، المؤسسة الجامعية للدراسات والمنشورات، لبنان، ط1، 2002، ص182

المحاضرة الرابعة: التيار العقلاني

تمهيد:

نهدف هذه المحاضرة إلى ابرز جملة من النقاط الرئيسية التي تضمنها الاتجاه العقلاني في مقابل الاتجاهات الفكرية الأخرى خاصة التجريبي منها، ومن خلال التعريفات الخاصة بالتيار العقلاني والمتعلقة بمنهج البحث والآليات المعتمدة والمرتكزة أساس على المبدأ العقلي سنحاول الوقوف على الوقوف على أهم المراحل التاريخية التي شهدت بزوغ هذا الطريقة في التفكير بدءا بالفترة اليونانية التي طالما تشكلت فيها الإرهاصات الأولى مع "هيرقليطس" مرورا بفترة العصور الوسطى استنادا على المفكر العقلاني الشهير "ابن رشد لنتمكن من معرفة المناهج العقلية الحديثة التي أحدثت جدلا كبيرا في الساحة الفكرية خاصة الفيلسوف باروخ سبينوزا و"رنيه ديكارت" مع مبدأ الشك وصاحب المقولة الشهيرة "أنا أفكر إذن أنا موجود".

المذهب العقلي:

مما لا شك فيه أن كل تيار أو مذهب إلا وله مجموعة من الآليات التي ينبني عليها فكره، إلا أن ما نجده في المذهب العقلي انه خال من الأدوات الملموسة التي نستطيع تصنيفها ضمن الوسائل المعتمد غير ما يقوم به العقل الإنساني، وذلك عن طريق "الرجوع إلى الاستدلال الخالص مصدرا للمعرفة، حيث بإمكان الإنسان الوصول إلى المعرفة الحقائق العلمية من دون الرجوع أي مقدمات تجريبية على غرار ما يقوم به التجريبيون، كما يعمل على اختراق الطبيعة والمعجزات، وعليه يمكن القول أن المذهب العقلي هو: "الاستدلال العقلي الخالص"[46]

[46] راوية عبد المنعم عباس، " ديكارت أو الفلسفة العقلية"، دار المعرفة الجامعية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1989، ص29.

مسلمات التيار العقلاني:

تشمل أفكار ومسلمات رواد التيار العقلي كل ما يوحي أن هذه النزعة تقوم على مصادرة جوهرية واحدة حيث تصب في سياق الأصل الأول للعلم الإنساني، وعليه مهما تراكمت الحلقات المعرفية وتنوعت فإن الأمر يعود رأسا إلى العقل، ومن جملة المرتكزات والمسلمات التي ينطلق منها:

– العقل البشري مجموعة من المبادئ الفطرية والمفاهيم والمقولات القبلية، بدونها تتعذر المعرفة.

– الحدس هو إحدى الآليات الرئيسية للمعرفة، وكذلك البداهة والوضوح ومبادئ العقل: مبدأ الهوية وعدم التناقض والثالث المرفوع.

– التفكير أساس الوجود الإنساني ودليله مقولة ديكارت الشهيرة (أنا أفكر إذن أنا موجود)

– المرجع الوحيد للوصول إلى المعرفة / الحقيقة هو: البداهة، التحليل، التركيب، المراجعة.

هذا ما سيتم عرض فحواه من خلال ما يلي:

إتجاهات العقلانية:

العقلانية الكلاسيكية اليونانية:

هيرقليطس:

يشيد هيرقليطس كثيرا بالدور الذي يقوم به العقل الإنساني ويحاول جليا إظهار الفارق بين ما يقدمه على غرار الملكات الأخرى التي لا يمكننا الحكم عليها بالمطلقية في إنتاج الأفكار أو الجزم أنها مصدرا المعرفة، فعلى سبيل المثال نجد الكثير من الطرائق التي تمكننا من ذلك كالحواس، لكنها "لا تدرك الأشياء، فهي لا تعدوا أن تكون نوافذ للمعرفة، ولذلك طل

إدراكنا في اليقضة أفضل من إدراكنا في النوم،لأننا في النوم نقطع صلتنا مع العالم الخارجي... ولكن الحواس لا تفيدنا إلا معرفة الظاهر المتغير، أما معرفة الكلمة أو القانون فالذي يدركه هو العقل أو البصيرة، وعليما أن نبحث في أنفسنا عن ذلك العقل .. لان العقل الذي فينا جزأ من العقل الإلهي"[47]

بارمينيدس:

يقول بارمنيدس أن "كل ما يتصوره الناس عن العالم وكل ما يضنونه ويرونه ويشعرون به ما هو إلا مجرد وهم خالص، فالعقل هو الذي يستطيع الوصول إلى الحقيقة ، فالعقل – كما أعلن هو بكل كبرياء كأول المفكرين التجريديين – هو الذي يبرهن دون جدال على أن الحقيقة مختلفة تماما بكل ما في هذه الكلمة من معنى"[48]، هذا التشديد الذي جعله من بين الأوائل في تبني العقلانية التي لا تعلوها شيء في الطريق غلى المعرفة وبلوغ الحقيقة. " ومن أجل هذا فقد نشأت عند بارمنيدس تفرقة ذات أهمية أساسية في الفلسفة هي التفرقة بين الحس والعقل حيث رأى أن عالم الزيف والمظهر عالم الصيرورة، عالم اللاوجود هو العالم الذي يمثل لنا بالحواس أما الوجود الحقيقي فلا نعرفه إلا بالعقل أو الفكر"[49]

سقراط:

لقد نشأت العقلانية في فكر سقراط على أساس أنها فكرة جوهرية وضرورة معرفة النفس لنفسها أو الذات لذاتها (أيها الإنسان إعرف نفسك بنفسك)، ومن هذا المنطلق نجد أن العقلانية عند سقراط ليست فقط ممارسة فعل التعقل والتفكير فحسب، بل تكمن في تغيير الوعي البشري من خلال مختلف المعارف التي يكتسبها، وإيمانه بان العقل أداة تمكن من فهم الوجود الإنساني والطبيعي، كما ذهب إلى كون التصور الأولي حول وجود عالم المعقولات باعتباره عالم الحقائق الكلية التي لا تدرك إلا بالعقل كواسطة وحيدة، غير ان

[47] محمد فتحي عبد الله، علاء عبد المتعال، دراسات في الفلسفة اليونانية، دار الحضارة للطباعة والنشر، طنطا، د ط، د س، ص123، ص124
[48] المرجع نفسه، ص 127
[49] المرجع نفسه، ص 125

بوادر التفكير العقلاني عند سقراط بدأت من اعتماده منهجه الشهير "التهكم والتوليد"، " ويتضح ان مرحلة التهكم تقوم على تنقية العقلية اليونانية مما أذاعه السوفسطائيون من شك وهدم للعقائد للوصول، وبذلك تعد هذه المرحلة خطوة كان لا بد منها لتطهير النفوس، وعندما ينتهي سقراط من تطهير نفس خصمه من المعارف المشوهة التي تلقاها في المجتمع .. وفي هذه المرحلة يرى سقراط وهو يعيد يناء المعرفة على أسس جديدة بعد أن طهر نفس محدثة من الأوهام والآراء المذيفة"[50]

اهتمامات ابن رشد الفكرية:

الأمر الأول: اكتفاء الفيلسوف بالوحي في تلك المسألة ورغبته في عرضها على العقل مع تأويل صفتها تأويل ينطبق على العقل. وهذه هي طريقته في كل المسائل التي كان يحتك بها العلم بالدين.

الأمر الثاني: تسامح ابن رشد وتساهله بشان باقي الأديان، فإن قوله "إن الحكيم الشرائع بقول مثبت أو مبطل في مبادئها العامة وإن الشرائع كلها نبهت بما يجب تنبيه الخاصة والعامة إليه وإنه لا يجوز الاستهانة بها والتصريح بشك في مبادئها بل يجب تأويلها أحسن تأويل لأنها كلها حق وأن الفضائل الخلقية لا تمكن إلا بالعبادات المشروعة....

الامر الثالث: اهتمامه أمر الزنادقة الذين يقصدون إبطال الشرائع وإبطال الفضائل، وإيجاب قتلهم على كل من يقدر عليهم"[51].

[50] محمد فتحي عبد الله، علاء عبد المتعال، دراسات في الفلسفة اليونانية، مرجع سابق، ص 141

[51] للمزيد من الاطلاع أنظر إلى: فرح انطوان، فلسفة ابن رشد، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية ، 1993، ص 22 وما بعدها

آراء ابن رشد:

في حرية الإنسان:

يقول ابن رشد: "إن الإنسان غير مطلق الحرية تماما ولا مقيدها تماما، وذلك إنه إذا نظر من جهة نفسه وباطنه فهو حر مطلق لأن نفسه مطلقة الحرية في جسمه، ولكن إذا نظر إليه من جهة حوادث الحياة الخارجية كان مقيدا بها لما لها من التأثر على أعماله"[52]، لذا نجد أن ابن رشد يركز على أن القرآن الكريم قد ورد فيه ما يبين للإنسان أنه تارة مختار وتارة أخرى مقيد، الأمر الذي نستنتج من خلاله الوسطية بين الجبرية والقدرية

في السياسة:

لقد كان للفلسفة دورا بالغ الأهمية في فكر ابن رشد حيث رأى انه من الواجب "إلقاء زمام الأحكام إلى الشيوخ والفلاسفة ليديروها بقسط وعدل، ويجب حث الناس على الفضائل بتعليمهم البيان والعلوم التي تثقف العقل"[53]

أقسام الفلسفة العقلية بين ابن رشد والفلسفة اليونانية:

علينا أن نظهر ما في فلسفة ابن رشد من الموافقة لفلسفة أرسطو وما فيها من المخالفات التي نشأت عن الزيادة عليها فنقول أن فلسفة العرب في مسألة العقول تنقسم إلى خمسة أقسام.

"**القسم الأول:** الاعتقاد بوجود هما في الأصل واحد عقل عام فاعل بريء من المادة وهو صادر عن المبدأ الأول أي الخالق. والثاني عقل منفعل أو مفعول وهو القوى الإنسانية أو الحيوانية القابلة للانفعال من العقل الأول.

[52] المرجع نفسه، ص 27

[53] المرجع نفسه، ص27، ص28

والقسم الثاني: أن العقل العام الفاعل البريء من المادة عقل خالد لا يقبل الفناء. والعقل المنفعل أو المفعول أي القابل للانفعال يقبل الفناء.

القسم الثالث: أن العقل العام الفاعل هو بمثابة شمس للعقول تستمد كلها روحها منه.

القسم الرابع: وحدة هذا العقل الفاعل لأنه لا يتجزأ ولا ينقسم.[54]

في النساء:

يرى أن "الاختلاف الذي بين النساء والرجال إنما هو اختلاف في الكم لا في الطبع، أي أن النساء طبيعتهن شبيهة بالرجال ولكن أضعف منهم في الأعمال والدليل على ذلك هو مقدرتهن على جميع أعمال الرجال كالحرب والفلسفة وغيرهما ولكنهم اضعف من الرجال فيها، على أنهن قد يفقن الرجال في بعض الأمور كفن الموسيقى مثلا ولذلك كان الفيلسوف يرى أن كمال هذا الفن في أن يكون الواضع أو المؤلف رجلا والموقع أو المنشد امرأة"[55]

إن من جملة الاستنتاجات التي يمكن الخلاص إليها من خلال النموذج الرشدي في التفكير ما يلي:

- التوفيق بين الشريعة والحكمة، بين العقل والنقل.
- الشرع بموجب النظر العقلي
- النهي عن الحكمة مخالف للشريعة
- مطابقة الحكمة للشريعة بالتأويل
- التأويل لأهل العلم فقط.

[54] فرح انطوان، فلسفة ابن رشد،مرجع سابق ص41، ص42
[55] المرجع نفسه، ص29، ص30

العقلانية الحديثة:

أبرز روادها:

أ- أبو الوليد ابن رشد: (1126 – 1198)

يمثل ابن رشد قطبا بارزا في الفترة الوسيطية التي شهدت بزوغا معرفيا خاصة فيما يتعلق طبيعة التفكير والبحث عن المنطلقات الأولية لبناء المعرفة، إذ يعد من بين رواد الاتجاه التفكيري العقلاني الذي أضفى إلى الساحة الثقافية والفكرية نتاجا ضخما وواسعا. وإذا ما أردنا معرفته أكثر فنقول أنه "فيلسوف، فقيه، طبيب، وقاضي عربي أندلسي مسلم، درس الشريعة وفق المسلك الأشعري، دافع عن الفلسفة ورد على مواقف أبو حامد الغزالي، (1058 – 1111) صاحب كتاب " تهافت الفلاسفة"، وصحح بعض المفاهيم الفلسفية لابن سينا والفارابي، يعتبر ابن رشد من أكبر المدافعين عن الفلسفة والاشتغال بها، وقد بين انه لا تعارض بينها وبين الشريعة، يعتبر من أكبر شراح أرسطو، تميز بفلسفته العقلانية التي سميت بالرشدية[56]

ب- باروخ سبينوزا (1632 – 1677م)

لم يكن للفيلسوف الهولندي التمثيل للتزعة العقلانية من العبث، بل جاء ذلك نتيجة لجملة من الدوافع التي أصرته على انتهاج المذهب العقلي، ولعل أهمها التأثر بما خلفه السابقون لهذا التيار "العقلاني" مثل ديكارت وما لما قدمه من آراء ونظريات سواء على مستوى المنهج أو مبدأ الشك بشكل عام. وفي مقابل ذلك "واجه سبينوزا المسيحية بتعصبها القرنوسطي ضد اليهود، كما واجه التقدم العلمي "الكوبرنيكوس وكبلر وغاليليه" وفلسفات المادية الملحدة لهوبز، .. وبراقب تقدم العلوم الحديثة، فحاول في فلسفته أن يفهم كل هذه النزاعات الدينية والعلمانية، من خلال فكرة شمولية واحدة، شأنه شأن ابن عربي ....

[56] عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ص19 – 32.

وإعجابه بالعلم دفعه إلى قبول رأي "ديكارت" بضرورة بناء كل معرفة يقينية على بداهات لا يمكن دحضها[57]، وما يترتب من وراء كما ذكرنا سابقا الامتثال باروخ للنزعة العقلانية من خلال مختلف آراء حول قضايا قواعد المنهج والشك المنهجي و قضية ثنائية النفس والجسد بحيث اعتبرها كيان واحد متصل.

ج- غوترفيد ليبتنز: (1646 – 1716)

يعد ليبتنز واحد من كبار التيار العقلاني حيث من خلال إبرازه أن الحقيقية حين تتضافر مع حقيقة تحليلية أخرى تصبحان حقيقة تركيبية، ولا بد من أجل تضافرهما من افتراضات بديهية لتقوما معا عليها، أي أن الفرض أو البداهة هو اللحمة بين الحقيقتين،

" كما تقوم فلسفته على فكرة التناغم او التناسق الكلي في الكون والوجود، يعتبر مكتشف حساب التفاضل في نظرية المعرفة يرى أن المعرفة الصحيحة يجب أن تتميز بصفتين أساسيتين وهما: الضرورة والكلية، فكل معرفة صحيحة لا بد أن تتصف بصفتي النسقية والانسجام، وكانت للبتنز آراء في مختلف القضايا الفلسفية"[58]

النموذج الديكارتي حول التيار العقلاني:

يعد العقل عند ديكارت بمثابة القدرة على الإنسان لتفسير كل شيء وذلك لتماهيه مع الواقع المعاش والمقابل للتفسير.

يمكن القول أننا "حين نفسر أمرا من الأمور نعقله، وكلمة "عقل" في اللغة العربية تعني ربط، وفي الإنكليزية "Reason" من "راسيو Rasio" اللاتينية التي تعني علل، أي سبب، فعملية ربط المسببات ببعضها هي من عمل العقل، لكن العقل ليس "استدلالا Deductive" فقط، بل تفسير وإدراك (وهو عند الحكماء قسم من الإدراك مجرد من اللواحق المادية ...- أي-

[57] هاني يحي نصري، "دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة"، المؤسسة الجامعية للدراسات والمنشورات، بيروت، ط1، 2002، ص 206
[57] راوية عبد المنعم، مرجع سابق، ص 215
[58] عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، مرجع سابق، ص387، ص397.

مطلقا، والمعقولات الأساسية التي بها ندرك الأشياء هي المقولات، إذ لا يمكن إدراك أي أمر ليس له خاصة وفعل وانفعال وهو بزمان او مكان .. وباقي المقولات التي تقوم على "الإيساغوجيات" من نوع وجنس وعرض وفصل"[59]

قواعد المنهج الديكارتي:

1-البداهة:

يقول ديكارت: "لا يقبل شيء على أنه حق، ما لم يعرف بالبداهة أنه كذلك بمعنى أن يتجنب التعجل في الحكم والأخذ بالأحكام السابقة، كذلك فلن ندخل في أحكامنا إلا ما يتملثه العقل في وضوح وتميز يزول معهما كل شك"[60] وبناء على هذا التحليل تتجلى لنا صور استقلالية العقل في التفكير من خلال الحرية التي يتصف بها من خلال الانفراد بالحكم على حقيقة الأشياء وكذا تحليل الظواهر والأفكار، بيد أن هذه الأخيرة لا تكفي للولوج إلى الحكم النهائي أو بعبارة أخرى المعاني المتوصل إليها ليست وحدها المضمون، لذا يدعو ديكارت في أكثر من موضع إلى وجوب قواعد اخرى للوقوف على حقيقة الفكرة والأشياء. حتى نتفادى التسرع والوقوع في الخطأ.

2-التحليل والتقييم:

يحاول ديكارت في هذه القاعدة إبراز مدى قيمة التحليل من خلال تجزئة الأشياء وفصلها عن بعضها البعض لتتسنى لنا عملية الدراسة والحكم على طريقة التقسيم ومن ثم بلوغ الهدف منه، لذا نجد يقول: " نقسم كل مشكلة من المشكلات نبحثها بقدر ما نستطيع إلى ذلك سبيلا، وبمقدار ما تدعو الحاجة إلى حلها على أفضل وجه"[6261] حيث يفهم من حلال قول ديكارت أنه كلما كثرت وزادت المسائلات التي تأتي بعد تقسيمات الأشياء كلما زادت

[59] هاني يحي نصري، "دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة"، المؤسسة الجامعية للدراسات والمنشورات، بيروت، ط1، 2002، ص 206

[60] راوية عبد المنعم، مرجع سابق، ص 106

[61]

[62] المرجع نفسه، ص 107

الدقة من للانطلاق من الجزء إلى الكل، وهكذا تتضح لنا عملة سد الثغرات الداخلية للأشياء والتي قد تكون محل الوقوع في الخطأ إذا ما لم يتم الوقوف عليها مسبقا.

3-التركيب:

يركز ديكارت على مرحلة الترتيب لما لها من أهمية في الدراسة لذا نجده يقول: " يجب أن نرتب أفكارنا بأبسطها ثم نتدرج قليلا حتى نصل إلى المعرفة أكثر تعقيدا، وأن نفترض في ترتيبنا بين الأفكار التي لا يسبق بعضها البعض الآخر بالطبع"[63] حيث يعمل الترتيب على الوضوح والتسلسل بين خطوات دراسة الأشياء، لأن أي توظيف لقاعدة أولى على سبيل المثال يعد الإحصاء سيختل العمل البحثي حتما، لذا ديكارت حاول أن يضع طريقنا في الدراسة وفق ما يشبه الدليل الذي نعتمد في المجالات الأخرى مثلا، وبالتالي لا غرابة في ان نبدأ التفكير من الحقيقة الأولى البسيطة لنتدرج حتى نصل إلى الحقائق المركبة

4-الإحصاء:

تهدف عملية الإحصاء إلى العمل على مراجعة كل ما قام به الباحث من المرحلة الأولى التي تنطلق من البداهة إلى النتيجة أو الحقيقة المتوصل إليها بحيث لا يجب علينا الإغفال على أي جانب من الجوانب وما يزيد عن عملية الإحصاء تأكيدا قوله: " أن أعمل في جميع الأحوال من الإحصاءات الكاملة والمراجعات العامة ما يجعلني على ثقة من أنني لم أغفل شيئا له صلة بموضوع المسكلة المعروضة للبحث[64]

[63] راوية عبد المنعم، مرجع سابق، ص 107
[64] المرجع نفسه، ص 109

استنتاج

يمكن القول في الأخير أن ما توصل إليه الفلاسفة العقليون جدير بالإشادة والتثمين، ذلك لما يضفيه من خلال إيجاد المعرفة بالطريقة الصحيحة والحرية المطلقة التي تجعل من الإنسان قادرا على الإلمام بجوانب الظاهرة أو الشيء المدروس، لأن العقل هو الوحيد الذي يعمل على التفكير ومن ثم التغيير والتجديد، وهذا ما نلحظه عن جميع العقلانيون سواء في تصرحاتهم ومقوقولاتهم أو في الآليات المستخدمة كقول سقراط "أعرف نفسك بنفسك" ومقولة الوجود لديكارت، كما يعد العقل بمثابة الشارح الأفضل لما تقدمه الحواس أو التجارب الواقعية من معارف ومعلومات.

المحاضرة الخامسة: التيار التجريبي

تمهيد:

في هذه المحاضرة سنعرض واحد من التيارات التي أحدثت جدلا بالغا في ساحة الفكر خلال عصر الأنوار، هذا العصر الذي شهد ردة قوية من أصار التيار التجريبيين، وقد عبر التجريبيون بمناهجهم المعتمد خاصة الحسية منها، والتي تتبني على أسس الواقع والخبرة الذاتية، في مقابل العقلانية التي تجعل من العقل أداة ووسيلة للحصول على المعرفة، وبين هذا وذاك انطلقت محاضرتنا من التساؤلات الفرعية الآتية:

ما التجريبية؟

من هم التجريبيون؟

ما هي أهم النماذج الفكرية التجريبية التي يمكن ن خلالها معرفة المبادئ الرئيسية التي اعتمد عليها التيار التجريبي

1-تعريفات أولية:

أ- التجربة:

"ورد في معجم لسان العرب المحيط أن التجربة مصدر جرب والمجرب قد عرف الأمور وجربها أو الذي جرب في الأمور وعرف ما عنده

تعتبر التجربة أحكاما ناتجة عن أفعال وخطوات حققت أهداف ، وما يميز التجربة هو إمكانية التكرار للتأكد من صحة فروضها. وهي أوسع من التجريب مع أنه الميدان الذي أنتجت فيه التجربة ونقحت به ولم تكتمل إلا بخطواته ونتائج التجربة يمكن ان تكون موجبة

أو سالبة والتجربة دائما ماضية، والتجريب دائما حاضرا أي أن التجربة تعبر عن الماضي ويمكن أن تستعمل في الحاضر والمستقبل، فلولا خطوات حدثت ما كانت هناك تجربة.[65]

ب-**التجريب:**

يقصد به التجريب المبني على خطة لها خطوات حدثت وفق أسباب وتسعى إلى أهداف يمكن الوصول إليها من خلال فروض، والتجريب ليس باليقين بل هو محاولات جادة من خلال اعتماد مبدأ التعدبل والتغيير والنجاح والفشل فإذا فشلنا كان تجريبا وإذا نجحنا اصبح تجربة، ولهذا يكون التجريب في العلوم الطبيعية خاضعا لضوابط ويقبل التضحية بالمجرب ...وما يميز التجريب هو الديمومة والاستمرارية والتجريب اقل شمولا من التجربة وهي أوسع منه ويعتبر التجريب من خطوات التجربة ولولا التجريب ما كان هناك تجربة ولولا التجربة ما تكرر التجريب[66]

ج- التجريبية من منظور فلسفي:

"النظرية الفلسفية التي ترى أن كل كعرفة مشتقة من التجربة والتجريبية اتجاه في نظرية المعرفة يرد المعرفة إلى التجربة الحسية وتقابل النزعة العقلية Rationalisme في فهم ماهية المعرفة وتبع لهذا المدلول الذي يتضمن مفهوم التجربة لابد ان نميز بين التجريبية المادية والتجريبية المثالية. فالتجريبية المادية نفهم التجربة على أنها حصيلة تأثير أشياء العالم الخارجي وظواهره على حواس الإنسان، أما التجربة المثالية فتقتصر فيها التجربة على جملة الأحاسيس والتصورات ، وتنفي أن يكون العالم الموضوعي مصدر للتجربة أن الغاية من المنهج التجريبي هي الرغبة في الاهتداء غلى العلاقات التي تربط ظاهرة ما بعلتها القريبة.[67]

[65] بن اسماعيل بن رحمة، الخطوات المنهجية في البحوث التجريبية والعوائق الابستمولوجية التي تعترض الباحث التجريبي والحلول المقترحة، مجلة التكامل، العدد03، 2018، ص73

[66] المرجع نفسه، ص73

[67] فتيحة زرداوي، المنهج التجريبي عند ابن سينا، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، مجلد4، العدد04، 2016، ص07.

د- تعريف التيار التجريبي:

يعرف لالاند في موسوعته االفلسفية التيار التجريبي أو التجريبية Empirisme بأنها مصطلح يشير إلى كل التيارات التي تؤكد أن كل معرفة مصدرها التجربة والخبرة، وهي بذلك مقابلة للعقلانية القائلة أن المعرفة يمكن أن تستمد من العقل والحدس، فالتجريبية أو (الامبريقية) هي الاسم النوعي لكل المذاهب الفلسفية التي تنفي وجود أولويات ومصادرات عقلية بوصفها مبادئ معرفية بينة لدى الفرد، مثال ذلك جون لوك مقابل ديكارت[68]

يفهم من التعريف المذكورة أن التجريبية جاءت كرد فعل لما قدمته العقلانية خاصة لادعاءاتهم القائلة ان العقل هو الوحيد القادر على اكتساب المعرفة، لذا عصر الأنوار يجمع بين الكثير من الفلاسفة والمفكرين الذين اجتمع قولهم حول الإشادة بما تقدمه الحواس أو بالأحرى التجربة.

فالتيار التجريبي إذن يشير إلى النظرية الفلسفية القائلة بان جميع أنواع المعرفة مستقاة من الخبرة. وقد قام بتنمية هذا التيار مجموعة متعاقبة من الفلاسفة البريطانيين بصفة خاصة من أهمهم جون لوك ، ودافيد هيوم وجون ستوارت مل.[69]

2- مسلمات التيار التجريبي:

- الغاية من المنهج التجريبي هي الرغبة في الاهتداء إلى العلاقات التي تربط ظاهرة ما بعلتها القريبة ولب هذا المنهج هو الاستقراء الذي تنسب إليه مهمة تقرير ظاهرة ما.

- إذا كان الفيلسوف يتخذ العقل مصدرا للحقائق، ومعيار للتثبيت من صوابها، فإن العلم التجريبي لا يستمد حقائقه إلا من الملاحظة الحسية والتجربة العلمية.

- الملاحظة و الفرض والتجريب هي الخطوات الثلاث المكونة لسلسلة المنهج التجريبي.

[68] أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، "2، 2001، ص341

[69] جميل صليبيا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، الجزء الاول، 1982، ص245.

– العقل لا يستطيع أن ينشأ بالفطرة المعاني والتصورات، وليس له القدرة على خلع صفة الصدق على ما يبتدعه من معرفة.

وعليه يمكن القول انه بالرغم من تأثر الفلاسفة بما قدمه الفيلسوف الفرنسي "ديكارت" من خلال منهجه في البحث إلا أن جلهم كانوا ينتمون باتجاههم إلى المذهب الحسي حيث ان الأمر يعود إلى روح العصر الذي غلب عليه الطابع التجريبي. لذا نجد ان الطرح الذي يسعى إلى دراسة الإنسان. هذا الأخير الذي وجب التركيز أولا على قواه الإدراكية وكون أن الإحساس من جهة أخرى يمثل الطريق الأول للحصول على المعرفة، فقد أدى الأمر بفلاسفة الإنارة باعتماد المعارف الحسية المصدر الأول لمعرفة الإنسان بالعالم الخارجي، وكون الحس كذلك المادة الأولية للتشكيل من ثم تأتي عمليات التحليل والتركيب.

3– مراحل تطور التيار التجريبي:

أ– المرحلة اليونانية:

ديموقريطس:

"ولد بابديرا ، كانت مدينة غنية مزدهرة، إذ بناها فريق من الأيونيين بالقرب من مناجم ذهب، ووكان ميلاده سنة 420 ق م، وكان كثير الأسقاراذ ذكر عن نفسه أن أحد من أهل زمانه لم يقم بمثل ما قام به من رحلات، ولم يرى مثل ما رأى من بلدان، ولم يستمع إليه من أقوال العلماء ولم يتفوق عليه في علم الهندسة حتى ولا المهندسون المصريون، فقد زار مصر وبابل وبلاد الفرس فاستوعب كل المعارف والعلوم المعروفة في زمنه"[70]

هذه الإشارة في ضوء الأفكار والآراء الحديثة التي انبثقت من خلال تقدم العلوم بحيث يمكننا إقران المواقف القديمة التي تحققت عبر التاريخ ومدى وصولها إلى درجة من التخمينات التي لم لها من طرائق العلم إلا الاعتماد على الجانب النظري فحسب، الأمر الذي بها إلى النجاح

[70] علي سامي النثار، ديموقريطس، فيلسوف الذرة وأثره في الفكر الفلسفي حتى عصورنا الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ص411، ص412.

الذي تغبط عليه، في وقت لم يكن للمنهج التجريبي بمعناه الحديث أثر لدى العلماء، لذا اعتمدو في طاقاتهم على تقصي الطبيعة العامة تقصيا ذهنيا ليس غير.

وكون ديمقريطس واحدا من أكبر التجريبيين قديما، ومن مؤسسي نظرية الذرة وكذلك من معاصري الفيلسوف اليوناني سقراط، هذا لا يعني أنه يحمل نفس الأفكار التي أدلى بها لاحقوه، بل كان له تحليل جد عميق لا يتوقف فقط عند التجربة أو الحواس، إنما "اعتمد بشكل كبير عند الشرح على الحياة النفسية للكائن الحي، فقدم نظرية للمعرفة فسر من خلالها الإحساس تفسيرا ميكانيكيا، واعتبر أن النفس مركبة من ذرات كحزمة ضوء الشمس حينما تسقط على فتحة شباك فتحمل خلالها هباء يتحرك، وهي لا تتعدى كونها طبيعة تحتوي على ذرات دائرية خفية تنتشر في كل أنحاء البدن، فكل الأشياء الحية إذن يوجد فيها جزأ نفسي وعقلي"[71] وما أحدث اللغط في الساحة الفكرية قديما لدرجة أن الباحث قد يقع في المطب تجاه انتساب ديموقريطس إلى أنصار التجربة أم العقل، ولعل من بين ما يثبت ذلك هو مواقفه حيث "ادعى ديموقريطس أن نوعان الصور ينبعث من الأجسام مشابها لها وهذه الصور تطرق العين فتحصل الرؤيا المطلوبة .. ونظرية الصور هذه تحدد كل المذهب الذري وموقفه إزاء الإحساسات، على أن يرتبط الإدراك الحسي في حال التذوق والشم واللمس بالمدرك، ومن هنا فإن شكل الذرات – وليس تركيبها هو الأمر القطعي في المذهب الآلي للذريين"[72]

ب–مرحلة العصور الوسطى:

ابن الهيثم:

اعتمد ابن الهيثم في بحوثه على أحد منهجين، هما: منهج الاستقراء، ومنهج الاستنباط، وفي كلا المنهجين، كان يعتمد على التجربة والملاحظة، وكان همه من وراء البحث هو الوصول

[71] جعفر آل ياسمين، فلاسفة اليونان العصر الأول، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط1، 1971، ص115
[72] جعفر آل ياسمين، فلاسفة اليونان العصر الأول، مرجع سابق،ص115

إلى الحقيقة التي تثلج صدره، وقد حدد الرجل هدفه من بحوثه، وهو إفادة من يطلب الحق ويؤثره، في حياته وبعد مماته، وكان ابن الهيثم يرى أن تضارب الآراء هو الطريق الوحيد لظهور الحقيقة، وقد جعل من التجربة العلمية منهاجا ثابتا في إثبات صحة أو خطأ النتائج العقلية أو الفرضيات العلمية، وبعد ذلك يحاول التعبير عن النتيجة الصحيحة بصياغة رياضية دقيقة. وصف للعلامة مصطفى نظيف عن المفكر الإسلامي أنه يأتي "في المقدمة بين علماء الطبيعة النظرية بما وضع من ظواهر الضوء ... وأن أثره في هذا العلم لا يقل عن اثر نيوتن في علم الميكانيكا"[73]

وفي سياق النسق التجريبي، قسم ابن الهيثم العين إلى طبقات تتمثل فيما يلي:

"أ- الشحمة البيضاء: (بياض العين)

ب- العنبية: الحدقة وبوسطها البؤبؤ

ج- القرنية: تغطي مقدمة العنبية

د- الجلدية: كرة بيضاء رطبة متماسكة الرطوبة لينة ملساء فيها شفيف كشفيف الجليد وهي عند ابن الهيثم قسمان: الجلدية الأمامية: فيها الرطوبة الجليدية على الحصر وفي مقدمته تسطيح يسير يشبه التسطيح الذي في ظاهر حبة العدس

الجليدية الخافية : فيها الرطوبة اكثر غلظا تشبه الزجاج المرضوض، ومن أجل ذلك يسمي ابن الهيثم هذا المقسم الزجاجية[74]

ويقول ابن الهيثم: " إذا جعلنا في بيت مظلم فتحة في مواجهة ضوء ذاتي أو جعلناها مطلقة لضوء النهار، فإن الضوء يدخل من تلك الفتحة في بقعة مقابلة لها على جدار البيت أو على أرضه، ويبقى كل ما حول هذه البقعة غي مستضيء (وهذا دليل على ان امتداد الضوء

[73] أنظر: حميد موراني، وعبد الحليم منتصر: قراءات في تاريخ العلوم عند العرب ص127، 128
[74] عمر فروخ، تارسخ العلوم عند العرب، مرجع سابق، ص381، ص384

يكون سموت خطوط مستقيمة، وذلك أيضا هو الأساس الذي تقوم عليه الخزانة المظلمة ذات الثقب أو آلة التصوير"[75]

ج- مرحلة الفترة الحديثة:

جون لوك": 1632 – 1704

يعد جون لوك بمثابة الرائد الأول في حركة الإنارة حيث تأثر بكثير من الفلاسفة كما عاصر آخرون في فرنسا أمثال "مالبرانش" و"أنطوان أرنو" حيث كان اتجاهه ذو نزعة تجريبية تنطلق من الذات وما تمتلكه من قدرات على اكتساب المعرفة ويتجلى هذا مع التجارب الحسية لان " التجارب الحسية التي عاشتها الذات مع الأشياء تترجم إلى تصورات وأفكار تخزن في الذاكرة حيث يتم استدعاؤها كلما كان الذهن في حاجة إليها، ومنه فالتصورات التي كونتها الفاعلية الذهنية عن اللون الأحمر – مثلا – تبقى هي نفسها كلما اختبرت الذات الأشياء الحمراء من جديد. يقول لوك: "إن الذات الحالية هي الذات التي كانت حينئذ، وهذا الفعل هو نفسه الذي أنجز من طرف نفس الذات في الماضي والذي تستحضره الذات في الحاضر"[76]

نخلص مع لوك أن "اللغة باعتبارها كلمات، من جهة، وجمل تربط الكلمات فيما بينها بحروف وعوامل منطقية من جهة أخرى – تدل وتعبر بشكل مباشر على الأفكار التي كومنها الفاعلية الذهنية عن الأشياء وظواهر الطبيعة وتجارب الحياة اليومية، أي أت اللغة تجسيد صوتي ورمزي للتصورات والتمثلات الذهنية وتعبير عن العلاقات والترابطات الممكنة بينها، وهي تجريد وتعميم لخصائص الأشياء وعلاقاتها في الواقع التجريبي.[77]

[75] حسن ناعفة، تراث الإسلام، (الجزء الثاني)، سلسلة كتاب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، 1978، ص310

[76] عبد السلام خواخي، الأسماء والتصورات من نظرية المعرفة إلى نظرية المعنى، نموذج الفلاسفة التجريبيين: جون لوك، دافيد هيوم وجون سوارت ميل، مجلة "مدارات في اللغة والأدب"، مركز الدراسات والأبحاث، تبسة، المجلد01، العدد04، ص88

[77] للمزيد من الاطلاع أنظر إلى: عبد السلام خواخي، الأسماء والتصورات من نظرية المعرفة إلى نظرية المعنى، مرجع سابق، ص88 وما بعدها

يفهم م هذا أن اللغة من منظور جون لوك تساعد وبشكل كبير الذهن البشري خلال عملية إبداعه بحيث تقوم على توضيح العالم لذاتها وتوضح كل ما يحيط حولها وذلك على حساب التغير الزماني والمكاني، الأمر الذي يعمل على استمرارية الذات في عملية التعقل.

وبتوضيح آخر نجد أن جون لوك ومن خلال كتابه الشهير " مقال في الفهم البشري الذي وضح في وبشكل دقيق التصورات العامة للكلمات أنه "من المستحيل أن يكون لأي شيء معين اسم خاص ومتميز، لأن معنى الكلمات واستعمالها يتأسس على العلاقة التي يربط من خلالها الذهن بين أفكاره والأصوات التي يستخدمها لتكون علامات عليها، فمن الضروري إلصاق الأسماء بالأشياء للتعبير عن الأفكار المتميزة التي كونها الذهن عنها، ويحتفظ أيضا بالاسم الخاص الذي ينتمي إلى كل منها مع التكييف الخاص الذي تم إجراؤه على هذه الفكرة"[78]

نظرية المعرفة في فلسفة جون لوك:

النزعة التجربية عند لوك (أصل المعرفة):

إن لوك يقبل طائفة من المبادئ النظرية كالبديهيات Axioms والمبادئ الضرورية Maxims والمعرفة الحدسية والبرهانية. لكن "التجربة الحسية Sensz – exprience هي وحدها التي تقدم للعقل مواد معرفته، ذلك أن الإحساس لا يمدنا بمعرفة مباشرة للعالم الخارجي كما هو في واقعه الخارجي، .. ويبدو انه يقبل النظرية التمثيلية للإدراك الحسي كما يرى أن بعض الأفكار الممثلة للأشياء هي نسخ مطابقة وصحيحة للأشياء الطبيعية، بينما نجد الكثير من الأفكار ليست كذلك.[79]

[78] المرجع نفسه، ص85، ص85

[79] للمزيد من الاطلاع انظر إلى: محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي "الفلسفة الحديثة" ، (الجزء الرابع)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص166

- تصنيف الأفكار:

تتبنى فكرة تصنيف الأفكار من منظور لوك أنها تنبثق من مجال التجربة وكونها المنبع الرئيسي لها كم أن التجربة لا تقام إلا بفعل الملاحظة وهذه الأخيرة لا نوعين:

أ – ملاحظة خارجية وموضوعية

ب– ملاحظة داخلية وذاتية

فالأولى مصدرها الحس الظاهر، أما الثانية فمصدرها الحس الداخلي ...المعرفة كلها ترجع إلى الحس

فرانسيس بيكون: 1561 -1626

" يرى أن المعرفة تبدأ بالتجربة الحسية التي تعمل على إثرائها بالملاحظات الدقيقة والتجارب المعملية، ثم يأتي دور استخراج النتائج منها بحذر وعلى مهل، وقد لا يكفي عدد قليل من الملاحظات لإصدار الأحكام، وقد دفع به هذا الموقف إلى نقد المدرسيين والقدماء لاكتفائهم بالتأمل النظري حول الطبيعة، دون أن يعنوا بملاحظة ظواهرها، ومن ثم فإن الفلسفة الحقة – في نظره – يجب أن تقوم على أساس من العلم وتستمد من نتائجه القائمة على الملاحظة والتجربة، فيجب على العالم الطبيعي إذن احترام الواقع الحسي إلى جانب الذهن في تخطيطه للطبيعة[80]

استنتاج

نستطيع القول في الأخير أن التيار التجريبي عمل على توظيف الجوانب الذاتية للإنسان وجعلها قادرة على بناء المعرفة، كل هذا يندرج في الحواس وجميع الملكات التي يتحلى بها، كما يفهم ان التجريبية قامت ليس لإقصاء العقل من الدور المنوط الذي يؤديه تجاه عملية

[80] محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي "الفلسفة الحديثة" ، (الجزء الرابع)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996، ص31، ص32

اكتساب المعارف، بل لأن الحواء جزء لا يتجزأ من هذه الطاقات والممكنات التي تميزه، كما أن المساهمات التي أضفتها الحواس قد حلت كذلك محل اهتمام وقبول، حيث يظهر ذلك جليا من خلال الكثير من الكتابات الفلسفية حول قيمة الحواس أو بالأحرى التجربة في البناء المعرفي كم يظهر أيضا من خلال الأسماء الفكرية والفلسفية التي انتهجت منهج الحسيين والتجريبيين في الدراسة والبحث.

المحاضرة السادسة: التيار البنيوي

تمهيد :

لا نبالغ عند قولنا أن البنيوية تعتبر من أكثر التيارات الفكرية المعاصرة تأثيرا لكونها استطاعت أن تحدث تغييرا في مجال الدراسات الإنسانية ، على أساس أن هذا التيار يمكن توظيفه في عدة سياقات داخل العلوم الإنسانية و الاجتماعية .

التحديد المفاهيمي :

يتعرف ميشال فوكو في محاضرته التي ألقاها بتونس سنة 1967 بصعوبة و ضع تعريف محدد و دقيق للبنيوية خاصة إذا عرفنا أننا نشير إلى تحاليل و مناهج مختلفة و رغم هذا الاعتراف من طرف ميشال فوكو أحد عظماء الفكر الفلسفي المعاصـر إلا أننا سنحاول الإحاطة ببعض التعاريف التي من شأنها تحدد اللبس حول الفكر البنيوي و من ذلك يمكننا القول عنها أنها طريقة معينة يتناول بها الباحث المعطيات التي تنتمي إلى حقل معين من حقول المعرفة بحيث تخضع هذه المعطيات فيما يقول البنيويون للمعايير العقلية [1]، يفهم من ذلك أن البنيوية إشارة إلى طريقة أو سيلة يمكن استخدامها في جانب معين من الجوانب المعرفية المختلفة و هي عكس السلوكية التي اعتمدت المنهج التجريبي نجدها كانت نظرية تركز على بنية الشيء في تفسير و تحليل الظواهر ، و هنالك تحديد أخر لجول ستروك واصفا إيها بالطريقة فهي في نظره ليست منهجا و لا مذهبا و لا مدرسة و إنما هي طريقة فحسب ، يمكن الاستئناس بها عند التحليل ، و ذلك ما ذهب إليه ميشال فوكو بقوله " أنها مجموعة من المحاولات التي نقوم بواسطتها بتحليل ما يمكن تسميته بالركام الوثائقي أي مجموعة العلامات و الآثار و الإشارات التي تركتها الإنسانية في الماضي و الآتي و التي

[1]- رحيم عبد القادر ،البنيوية مفهومهاو أهمروافدها ، مجلة كلية الآداب و اللغات ، جامعة بسكرة ، العددان الرابع و الخامسعشر ،جانفي 2014، ص ،470 .

مازالت تكونها يوميا و بعدد متزايد حولها ".[2] في هذا التعريف الذي قال به فوكو حول البنيوية إذ ربط أهيمتها و قيمتها في البحث و الكشف عن ذلك الحطام الذي خلفه الماضي الإنساني أين يمكن اعتماد المسلك البنيوي للكشف عنه و ذلك من خلال اعتماد أسلوب التحديد الكلي و الشامل ، بمعنى أن البنيوية في تحليلها و تفسيرها للأشياء تعود إلى البنية العامة و الكلية للشيء لا إلى جزئياته . و أما البنيوية في مفهومها العام فإنه يمكننا القول بأنها " منهج نقدي أو نشاط فكري يمضي إلى ما وراء الفلسفة و يتألف من سلسلة متوالية من العمليات العقلية التي تسعى بتعبير رولان بارت إلى السيطرة على اللامتناهي من الكلام بحكم أنها تنطلق أساسا من اللغة التي هي في الأصل مصدر هذا الكلام [1] ، و على أساس ذلك فإن البنيوية في جوهرها مدرسة نقدية في اللغة جاءت من أجل التوغل داخل ثنايا النصوص الأدبية و محاولة تحليلها و بيان العلاقة بين الكلمات و الجمل و العبارات و كذا المؤلف و من ثمة فإنها اعتمدت على البنية العامة للنص قبل أن يتم توسيعها إلى سياقات و حقول معرفية متعددة لتصبح كمنهج علمي و أحد أهم التيارات الفكرية المعاصرة .

و من حيث الاطار التأسيسي فإن البنيوية ترتبط بمجموعة من الأسماء ساهمت بشكل كبير في بلورة المنهج البنيوي و يتعلق الأمر بكل من كلود ليفي شترواس ، ألتوسير و فوكو و لاكان وقد استخدمت العديد من الشعارات مثل موت الذات ، الهجوم على الواقعية أكثر منها منهج محدد بوضوح و نظرا لتعدد المنتمين إلى الفكر البنيوي إلا أن هنالك اختلافات في بعض الأفكار فكل واحد راح يؤسس لأفكاره الخاصة حسب توجهه و انتماءاته ، إلا أن هنالك فكرة أساسية اتفق عليها جميع البنيويين و التي تولدت من أعمال ليفي شترواس ،[2] مما يعني أنه هو الأب الروحي و المؤسس للبنيوية و التي تعتمد في سياقها العام على البنية

[2] - ميشيل فوكو ، البنيوية و التحليلالأدبي ،تر : محمد الخماسي ، مجلة العرب و الفكرالعالمي ،بيروت ،لبنان ، العدد الأول ، شتاء 1988 ،ص ،15 .

[1]- رحيم عبد القادر ،البنيوية مفهومهاو أهمروافدها ، مجلة كلية الآداب و اللغات ، مرجع سابق ،ص ،471 .

[2] - سايمون كلارك ،أسس البنيوية نقد ليفي شترواسو الحركةالبنيوية ،تر : سعيد العليمي ،المركز القومي للترجمة ،القاهرة ،مصر ، ط 1 ،2015 ،ص ،9 .

العامة للأشياء ، فهي تحدد معنى الشيء و تحلل و تفسر بناء على الكل لا الجزء و ربما تحمل البنيوية هذا الإرث من المقولة السقراطية في مبحث الكليات عندما قال تعرف الأشياء بالكليات .

البنيوية و السياقالتاريخي :

سيكون سعينا في هذا العنصر إلى الكشف و البحث عن الجذور الأولى التي ساهمت في التأسيس للفكر البنيوي و يمكن عرضها في النقاط التالية :

1 – التحليل النفسي :

كما سبق و أن ذكرنا بأن نظرية التحليل النفسي لم تكن مجرد نظرية في سياق واحد فحسب بل تعددت تأثيراتها إلى عدة حقول معرفية و جوانب متعددة من التيارات و المذاهب قد استمدت انطلاقتها من التحليل النفسي على غرار التيار البنيوي الذي استفاد كثيرا من نظرية التحليل النفسي حيث نجد أن ليفي شترواسقد تأثر بفكرة اللاوعي التي استمد منها فلسفته الإنسانية المتميزة التي يقارب بها العلوم الإنسانية و إن كان لم يكن التحليل النفسي لتحقيق معرفة شاملة و موضوعية في العلوم الإنسانية على أساس أن التحليل النفسي يضمن دراسة أفراد مختارين و لا يدرس الإنسانية ككل .[1]

إن نظرية التحليل النفسي استفاد منها ليفي شترواس على نحو سلبي و ذلك حينما اعتبر أن هذه النظرية أي التحليل النفسي لا يمكنها دراسة الإنسان من مختلف جوانبه فهي محصورة على فئة معينة و هم الفئة غير السوية و منهااستطاع مؤسس البنيوية إلى البحث عن علم أو منهج يمكن من خلاله فهم و دراسة الإنسانية في شكلها الكلي و كان ذلك هو البنيوية .

[1] -ا لمرجع نفسه ، ص ،38.

2 -الإرث اللساني :

من الأصول التي استمدت منها البنيوية مبادئها الإرث اللساني المنبق أساسا من أفكار العالم السويسري فرديناند دي سوسير مؤسس علم اللسانيات الحديث و ذلك انطلاقا من كتابه الشهير ، " محاضرات في اللسانيات العامة " الذي طبع بعد وفاته بثلاث سنوات بمبادرة من تلميذه شارل بالي ، أين استطاع دي سوسير تأسيس مدرسة لغوية حديثة أصبحت نموذجا رائدا في العلوم الإنسانية و قدرتها على أن تصبح علوما دقيقة تضاهي العلوم الطبيعة في خضوعها للمنهج العلمي .[2]

انطلاقا من ذلك أي من البنيوية اللغوية التي كانت أساسا نظرية في اللغة و الأمر الذي استفاد منه ليفي ستروا‌ش من الإرث اللغوي هو فكرة البنية اللغوية التي تعتمد في تحليل النصوص الأدبية انطلاقا من البنية العامة للنص .

الإرث الدوركايمي :

من أجل أن تكون البنيوية منهجا دقيقا ليعتلي بالعلوم الإنسانية و يجعلها تضاهي العلوم الطبيعية لذلك كانت مناهلها متعددة و مختلفة المناهل و المشارب لذلك طرقت البنيوية مختلف الحقول المعرفية و كذا المناهج الخاصة بالعلوم الإنسانية و من هنا كانت من بين المناهج التي استفادت و استمدت منها البنيوية أهم ركائزها هو فلسفة دوركايم الاجتماعية التي انطلقت من المجتمع كسلطة فوفية على الفرد الذي يستمد منها الأخير كل مقوماته و مبادئه المختلفة الدينية و الأخلاقية و السياسية و الدينية و الاقتصادية حيث قدم في ذلك دوركايم قسمة أساسية بين الفرد و المجتمع واضعا الصفات الإنسانية النوعية للأخلاقية و المعرفة و المجتمع باعتبارها قوى قسرية تقف فوق الفرد و تفرض نفسها عليه [1]، و قد تجلى تأثر ليفي شترواس بدوركايم من خلال الفلسفة الاجتماعية لدروكايم التي جعلت من

[2] - فضل صلاح ، نظرية البنائية في النقد الأدبي ، منشورات دار الأفاق الجديدة ،بيروت ،لبنان ، ط 2 ،1980 ،ص ،24 .

[1] - سايمون كلارك ، أسس البنيوية نقد ليفي شترواسو الحركةالبنيوية ،تر : سعيد العليمي ، مرجع سابق ،ص ،40 .

المجتمع كبنية كلية للمجتمع و حينها عند فهم سلوك الفرد فإنه يجب العودة إلى المجتمع كركيزة أساسية للفرد و عليه أخذ كلود فكرة الكلية الاجتماعية لتعزيز الاتجاه البنيوي .

الفلسفة البنيوية الإنسانية :

بعد قراءتنا لتلك المناهل التي رسمت من خلالها الإرهاصات الأولى للمنهج البنيوي كان الهدف هو التأسيس لفلسفة بنيوية تحمل من طياتها خاصية الإنسانية الشاملة و هو ما أراده كلود ليفي شترواس من خلال كل ذلك إذ أن طموحه هو اكتشاف الجوهر الإنساني باعتباره القاسم المشترك الطابع الشامل لكل مجتمع و هذا هو الذي يقوده إلى أن ينفصل عن كل محتوى ثقافي نوعي و أن يركز تحليله على الأشكال الاجتماعية ففي نظرية القرابة فإن العام هو شمولية العلاقة الاجتماعية [2] ، و عليه فإن شترواس كان يعزو من خلال كل هذا إلى تشييد منهج نستطيع من خلاله تفسير و فهم الظاهرة الإنسانية.

خاتمة :

في نهاية عرضنا المتواضع عن البنيوية التي هي على غرار باقي النظريات لها و عليها بمعنى إنه منهج بنى فلسفته على منطلق عام و شامل يفسر و يحلل أي ظاهرة أو قضية تخص الإنسان انطلاقا من الشكل البنيوي العام لهذه المسائل.

[2] - المرجع نفسه ،ص ،196.

المحاضرة السابعة: التيار الوظيفي

تمهيد

تعود نشأة التيار الوظيفي إلى القرن نهاية القرن التاسع عشر مما يمكننا القول بأنه تيار معاصر، ومن بين مرجعياته الرئيسية النظرية التطورية كما له صلة بالتيار العقلاني، ومن خلال هذه المحاضرة سنوضح معنى الوظيفية أو ما يسمى البنائية مع التركيز بشكل أدق على اهم العناصر والمبادئ التي ارتكزت عليها الوظيفية أثناء الدراسة من جهة ومن جهة أخرى سنبرز علاقتها بالعلوم الاجتماعية (علم الاجتماع – علم النفس – التاريخ ..) وخاصة العلوم الأنثروبولوجية .

دلالات الوظيفية

الدلالة اللغوية للوظيفة:

إن لفظة الوظيفة وردت بمعنيين أحدهما التقدير لأمر حيوي في حياة الكائن الحي، والآخر (الوظيفة) وجمعها وظف وهي الأقرب إلى معنى الدور ... وفي المعجم العربي الأساسي على سبيل المثال لا الحصر: وظف الشخص: أسند إليه وظيفة، توظف يوظف يتوظف توظفا الشخص تولى وظيفة جمع وظائفي ما يقدر من عمل أو إطعام أو رزق...

الوظيفة في أصلها الإغريقي (fonk, Syon)، أو اللاتيني function تعني بصفة عامة الالتزام بأداء واجب أو خدمة أو عمل معين.[81]

الدلالة الاصطلاحية:

يعد "مفهوم الوظيفة حسب اللسانيين المعاصرين متنوع الدلالة مانع الحدود ويرجع ذلك إلى المنطلقات المبدئية في تفسير الظاهرة اللغوية مما يفضي إلى اختلافات منهجية في دراسة النحو وتفكير الكلام على أن المنظور البنيوي المعاصر في دراسة اللغة يكاد يحدد مصطلح

[81] بن العيفاوي نورة، مرجعية النظرية الوظيفية في الدراسات الغربية والعربية، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية،العدد11، دس، ص94

الوظيفة بأنه المنزلة التي يتبوؤها أي جزء من أجزاء الكلام في البنية التركيبية للسياق الذي يرد فيه"[82]

كما أن الوظيفية أنها نظرية لسانية انبثقت من أفكار "دوسوسير" وتجسدت في الأعمال التي أنتجت الفونولوجيا (مدرسة براغا)، وأعمال مارتيني ومدرسته في فرنسا. فالوظيفية ترفض دراسة اللغة كنسق صوري، يمكن أن يدرس اللغة في ذاتها بمعزل عن وظيفتها المركزية، وهي التبليغ.

الإتجاه البنائي الوظيفي:

إن "ظهور الاتجاه البنائي الوظيفي في بداية الأمر يعود إلى أبحاث ودراسات علم الإنسان خاصة المتعلقة بالثقافة أو ما يعرف الأنثروبولوجية الثقافية، وهنا عرف هذا الاتجاه بالنزعة او المدرسة البنائية الوظيفية للثقافة والمجتمع، وهي تهتم بوصف وتحليل الشكل البنائي Form Structuram أي الصور والعلاقات ذات الطبيعة العامة دون الاهتمام بالاختلافات ونوعية الأفراد الذين تنشأ بينهم هذه العلاقات.[83]

لقد ظهر الاتجاه الوظيفي مضاهيا للاتجاه التطوري الداروينى ما جعل أبعدها تمثل ردة فعل له، ويظهر ذلك جليا من خلال المؤسسين الأوائل للنظرية الظواهرية أمثال "إميل دوركايم Durkheim Emile والمفكر الاجتماعي "هربرت سبنير Herbert Spencer .

كما يمكن الإشارة أن لهذه النظرية مجموعة من الأفكار والمبادئ الذي جمعت بين الكثير من الفلاسفة وكذلك علماء الاجتماع الذي حاولوا النظر إلى البناءات الاجتماعية والتنظيمية عن طريق تحليلها وإعادة دراستها.

العناصر التي تشكلت عليها الوظيفية:

1-**النسق الاجتماعي:** يعد هذا المصطلح من أهم ما أورده علماء الاجتماع لوكنه من المفاهيم العقلية والمجردة عن المجتمع بوصف هذا الأخير على أنه نسق. "والنسق

[82] المرجع نفسه، ص95 - 96

[83] مختار جلولي، إسهامات التيار الوظيفي في مقاربة الظاهرة الإعلامية والاتصالية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مجلد14، العدد01، 2019، ص243

الاجتماعي social system هو أهم وحدة في دراسة علم الاجتماع. ويتكون هذا النسق من مجموعة من الناس الذين يعيشون معا ويشتركون في واحد أو أكثر من الأنشطة المشتركة ... وقد يكون النسق الاجتماعي الذي ندرسه صغيرا، كأن يتكون من زوجين يعيشان معا في أسرة وقد يكون ضخما كبيرا الحجم كمصنع كثير يضم آلاف العمال"[2] وإذا ربطنا التعريف بميادين الشغل والعمل لكان بإمكاننا تعريف النسق على حساب رؤية عالم الاجتماع انه "جماعة صغيرة من العمال تعمل في ورشة نجارة باعتبارها نسقا او مجموعة من التلاميذ داخل الفصل الدراسي باعتبارهم يكونون نسقاّ"[3] إذن يشمل النسق عدة نماذج يتخارج من خلالها بصورة منتظمة وتركيبة متوازية المهام يمكن التعبير عنها كوحدة وبتوضيح آخر "[2] تكمن خاصية النسق الاجتماعي في أنه يتشكل على قاعدة هذه الوحدة الاجتماعية أو تلك (المدينة، القرية، جماعة العاملين، الأسرة، الخ)، أما عناصرها فهي الناس الذين تشترط سلوكهم الأوضاع الاجتماعية التي يشغلونها، والوظائف (الأدوار) الاجتماعية الملموسة التي يؤدونها، والمعايير والقيم الاجتماعية المتبعة في النسق الاجتماعي المعني"[1].

2- الوظيفة والتكامل:

التكامل: ونعني به خدمة الأشياء لبعضها البعض عن طريق الجمع بين الأدوار ليس في طبيعة المهمة التي يشتغل عليها الفرد مثلا وإنما ملأ الفراغ الذي يشكل محل نقصا أو عائقا أمام تحقيق المبتغى العام للمجتمع كأن يقصر عنصرا من عناصر الوحدة في القيام بدوره كما ينبغي، ففي هذه الحالة هو يهز استقرار هذا المجتمع، وعليه فالتكامل "هو ترابط وتماسك أجزاء النسق الاجتماعي لكي يصبح كيانا كليا موحدا"[2] لأن التركيبة التي تشكل المجتمع تشمل مجموعة من العاصر، كل واحد منها له وظيفته مثل دور الأم في الجانب

[2] - الدكتور محمد الجوهري، المدخل إلى علم الاجتماع"، كلية الآداب، جامعة القاهرة،دط، 2007، ص ،07 .
[3] - - محمد سعيد فرح، ما...علم الاجتماع، منشأة المعارف، الإسكندية، مصر،دط، 2012، ص ،14 .

[1]- أوسيوف،أصول علم الاجتماع"، تر: سليم توما، ذدار التقدم موسكو،روسيا ،د ط 1990، ص ، 90.
[2] - الدكتور محمد الجوهري، مرجع سابق، ص 28 .

التربوي ودور الطفل في الطاعة والجانب الأخلاقي ، وفي مثال آخر نجد مثلا دور المدير في إدارة الشركة . وبالتالي فالوظيفة مرتبطة ب " أي عنصر من عناصر النسق الاجتماعي هي ذلك الجزء (الدور) الذي يؤديه للحفاظ على النسق ...ويطلق على اسم "وظيفي" على عالم الاجتماع الذي يؤكد علاقات التداخل القائمة بين أجزاء النسق الاجتماعي وإذا كان متطرفا في آرائه فإنه يجتهد كي يثبت أن كل جزء من أجزاء النسق يساهم في الحفاظ على النسق ويعمل على بقائه"[3]

"وهناك ثلاثة فروض كبرى ترتبط بفكرة التكامل:

أ-أن الحياة نسق اجتماعي سيء التكامل أصعب من الحياة في نسق اجتماعي جيد التكامل

ب- أن النسق الاجتماعي ذي المستوى المرتفع من التكامل أقدر على مقاومة التحدي الخارجي من النسق السيئ التكامل

ج- أن التحديث والتقدم الصناعي يؤدي عادة إلى تقليل درجة التكامل الاجتماعي"[2] وعليه نستنتج أن تحقيق التكامل له صلة كبيرة بدرجة إدراكه من طرف الجزء (الفرد) لأن الفكرة تعمم من الجزء إلى الكل حتى يحدث التكامل. فكلما كانت الوحدة ذات مستوى رفيع من طبيعة التكامل الجيد والحسن كلما استحدثت صورة كيانها الخارجي .

3-**الجماعة الإنسانية:** وهي "عبارة عن نسق اجتماعي يتكون من عدد من الأفراد الذين يتفاعلون مع بعضهم البعض ويشتركون في القيام ببعض الأنشطة المشتركة"[84] حيث تتشكل روح جديدة تضفي بداخلها قوة ودعم العمل لأن الحياة الإنسانية لا تكتمل إلا عن طريق تضافر الجهود حيث أن تكامل الأدوار يسطر على النظام المنشود داخل المجتمع وقد نبه كثير من الفلاسفة على التنسيق الجماعي لمعرفة سلوك الفرد الإنساني وتوجيهه

[3] - مرجع نفسه ، ص 29.
[2] -الدكتور محمد الجوهري، مرجع سابق، ص ، 29.

على أحسن وجه حيث عرفها "جونسون" علم الاجتماع على انه : " العلم الذي يهتم بالجماعات الإنسانية وأشكالها الداخلية وأساليب تنظيمها والعمليات التي تعمل على تنظيم الجماعات وتغييرها. والعلاقات بين الجماعات. ومفهوم الجماعات بالذات، رغم أن له معنى واضح في الاستعمال اليومي ليخدم مطالبنا الحالية، فله معنى خاص في التراث السوسيولوجي"[1]

التنظيم: عبارة عن نسق اجتماعي مستمر له هوية جماعية واضحة وقائمة محددة تحديدا واضحا من الأعضاء، وبرنامج للنشاط الرتيب (المتكرر) الموجه نحو تحقيق أهداف واضحة، وله كذلك إجراءات محددة لضم أعضاء جدد إليه،[2]

الثقافة والمجتمع: إن تطور الدارسات الاجتماعية أدت إلى إنتاج كم معرفي هائل في الساحة الفكرية مما أدى إلى انفصال التخصصات عن بعضها البعض أحيانا وذلك من خلال المفاهيم التي أبدها في ذات السياق نظرا لشساعة هذا الحقل المعرفي. فمن بين المفاهيم التي نراها شاملة يمكن الوقوف عليها بنظرة مستقلة عن بعضها مفهومي: الثقافة والمجتمع" . إلا أن الأمر عكس ذلك تمام حيث لا يمكن للثقافة أن توجد بدون مجتمع كما أنه لا يمكن لمجتمع أن يتشكل من دون ثقافة وخير دليل على القول هو تعريف المفكر "تايلور" لها بقوله أنها: " ذلك الكل المركب الذي يشمل على المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات وأي قدرات أخرى او عادات يكتسبها الإنسان بصفته عضوا في المجتمع"[1] وبالتالي الثقافة تجتمع كذلك مع عملية الانتظام داخل المجتمع لأن السلوك المنظم لا ينبع من فرد منعدم الثقافة فهذا إن دل فإنما يدل على الدور المنوط التي تلعبه داخ المجتمع الذي يعد "عبارة عن نسق اجتماعي مكتف بذاته ومستمر في البقاء بفعل قواه الخاصة، ويضم أعضاء من الجنسين (ذكورا وإناثا) و من جميع الأعمار"[2] الكل له ثقافته

[1] - محمد سعيد فرح، ما...علم الاجتماع، مرجعسابق ،ص، 47 .
[2] - الدكتور محمد الجوهري، مرجع سابق، ص، 31 .
[1]-الدكتور محمد الجوهري، مرجع ،سابق، ص، 45 .
[2] - الدكتور محمد الجوهري، مرجع سابق، ص ،32 .

الخاصة وعاداته وتقاليده التي تسيرها قدراته الفكرية التي لا تخلو من الثقافة حيث ان هذه الأخيرة يمكن القول أنها مرجعا رئيسيا لبناء مجتمع منتظم إنسان واع ومثقف لأن الثقافة تتكون "من أنماط النشاط الإنساني المكتسبة والمتوارثة اجتماعيا ومن الأشياء (العناصر) المترابطة بها"[3]

4- "النظام الاجتماعي:

تلعب الجماعة دورا له من الأهمية في ترتيب وصنع الأدوار والمراكز، حيث تتسنى لنا القدرة على البناء الجيد داخل المجتمع لان "النظام (الاجتماعي) عبارة عن نمط متميز من النشاط الاجتماعي والقيم التي تدور حول إحدى الحاجات الإنسانية الأساسية والتي تصاحبها طرق متميز للتفاعل الاجتماعي"[4] من خلال تحديد الأدوار المنوطة بالقيام ، " ومن وجهة نظر علم الاجتماع فإن دراسة الجماعات الإنسانية هي دراسة للتنظيم الاجتماعي،ومن ثم فإن مفهوم الجماعة والذي استعمل بكثرة في تحليلنا يختلف عن المفهوم الشائع عن بعض التجمعات، أي مجموعة من الناس يمكن أن يصنفوا معا وعلينا أن ندرس هذا المفهوم دراسة منهجية" لتتضح لنا صورة العمل المثالي الذي يتجلى داخل المجتمع المنظم.

القيمة هي تصور المجتمع للشيء المرغوب، وهو التصور الذي يؤثر على السلوك الاجتماعي لمن يعتنق هذه القيمة"[1].

5- المعيار :

هو المستوى القياسي للسلوك في جماعة معينة، وهو يتيح للفرد أن يحدد سلفا نوع الحكم الذي سيصدره الآخرون على أفعاله، كما يزود الآخرين معايير (محاكات) الموافقة أو الرفض .[2]

[3] - المرجع نفسه ،ص ، 33.
[4] - المرجع نفسه ،ص ، 34 .
[1]-الدكتور محمد الجوهري، ص44، ص45
[2] – المرجع نفسه، ص36 .

6- **التفاعل:** تتصل عملية التفاعل بمجموعة من الجوانب التي تصنع كيان الفرد ووحدته داخل مجتمعه أو النسق الذي يعيش فيه. ومن بين هذه الجوانب نجد اللغة والسلوك الذي ينبثق من الأفراد حيث أن " التفاعل هو العملية التي بمقتضاها تتيح للأفراد الذين يتصلون ببعضهم أن يؤثر كل منهم على الآخرين ويتأثر بهم في الأفكار والأنشطة على السواء"[3] لكن الأمر يختلف باختلاف الزمان والمكان فمثلا المجتمعات القديمة كانت تميزها القرى والمداشر ، وبالتالي الهاجس الفكري والثقافي الخاص بأفراد القرى والمناطق المنعزلة يختلف بالتمام عن ما نشهده اليوم وفي ظل التطورات التكنولوجية وانقسام العالم إلى العالم المتقدم والعالم التخلف وكمثال آخر يمكن وضع الإسقاط على المدينة بشكل عام لنكتشف سويا التنافس والحراك السريع من أجل الشغل و تحقيق المراكز الأفضل عن طريق التفاعل فيما بينهم و قد يقتضي الأمر أحيانا عدم التفاهم ونشوب بعض الصراعات لضيق السبل من أجل تحقيق العيش المرغوب. وعليه " فإن تفاعل الفرد مع الأفراد الآخرين في ظل بيئة اجتماعية معينة يمثل نسقا يتآلف فيه مبدأ الاستقلال الذاتي والخضوع، التبعية (heteronomy)، وكل واحد في هذه الأنساق يتطور بموجب فعل القوانين الاجتماعية الخاصة به"[1]

7-التنشئة الاجتماعية:

يعد الطفل المحور الرئيسي الذي يشتغل عليه دور التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة أو المجتمع لأن هذا الأخير يمثل السياق العام الذي يسير وينمو داخله وبالتالي يكون موضوعا للدراسة حيث أن "التنشئة الاجتماعية هي العملية التي تستهدف تأهيل الفرد للمشاركة في نشاط جماعة معينة عن طريق تعلم المعايير والأدوار التي تتوقعها الجماعة وتقرها"[2] . وقد أولى الكثير من مفكري علم الاجتماع الاهتمام لهذا الشأن بغرض توجيه السلوك على

[3] - المرجع نفسه ،ص ،38 .
[1] -تر: سليم توما، "أصول علم الاجتماع"، مرجع سابق ،ص ، 90 .
[2] - الدكتور محمد الجوهري، مرجع سابق، ص ،40 .

حساب القواعد والأسس الأخلاقية التي يمليها المجتمع و حسب رأي عالم الاجتماع الفرنسي دوركايم فإنها عملية تعتمد على الإيحاء لتعويد الطفل على الحياة الجماعية والتدريب على النظام واحترامه"[3] ليتضح لنا أن عملية التعويد داخل الجماعة تعمل على معرفة الطفل بالواجبات وكذا الأدوار التي يقوم بها عبر مراحل نموه بدءا بالطفولة ثم مرحلة الشباب إلى مرحلة الكهولة والشيخوخة .

8- الحراك الاجتماعي :

لقد أدت التطورات الناجمة عن التنظيمات الاجتماعية إلى توسع على مستوى التخصصات المهنية وسيولة وسائل الاتصال مما شكل موضوعا للحراك الحراك و الذي يعني حركة الأفراد، والأسر والجماعات من وضع اجتماعي إلى وضع اجتماعي آخر"[85] وقد عرفه كثير من الاجتماعيين بما يتناسب مع رؤاهم الخاصة ومن زوايا مختلفة، فمن منظور "سوروكين" نجد أنه "انتقال الفرد أو الموضوع الاجتماعي أو القيمة أو أي شيء آخر – أي شيء مخلوق أو محور بواسطة النشاط الإنساني – من وضع اجتماعي إلى وضع آخر، ويرى سوروكين أن هناك نوعين من الحراك، هما الحراك الأفقي والحراك الرأسي ويقصد بالحراك الأفقي انتقال الفرد أو الموضوع الاجتماعي من طبقة اجتماعية إلى طبقة أخرى ... كما يقصد بالحراك الرأسي تحرك الفرد إلى وضع اجتماعي جديد يخالف الوضع الأول"[1] يفهم من هنا بأن مصطلح الحراك الاجتماعي حديث النشأة تزامن إلى حد بعيد مع الفترة الحديثة التي أصبح فيه المجتمع منفتحا على المجتمعات الأخرى واستطاع كذلك الخروج من النمطية التي كانت تعيقه من حيث انتمائه إلى نسق اجتماعي واحد يرضخ بصفة مطلقة لسلوكاته وقوانينه، وبالتالي فالحراك فتح باب الاجتهاد لفرض الفرد وجوده داخل مجتمعه واختيار

[3]- المرجع نفسه ،ص ،40 .

[1] - محمد سعيد فرح، ما..علم الاجتماع، مرجع سابق ،ص ،55 .

الأنظمة التي تفتح له طريق التطور والتجديد، فلابأس أن ينتقل أو أن ينظم إلى جماعة أخرى أو بالأحرى إلى مجتمع يتوافق وتفكيره الخاص .

مجالات التيار الوظيفي:

الأنثروبولوجيا:

لقد قامت الوظيفية في المجال الأنثروبولوجيا بنفس الأداء الذي قدمته في علم الاجتماع، حيث أنها تجاوزت التفسيرات المتعلقة بالبنيات الاجتماعية، وذلك لمحاولة إضفاء الطابع الشمولي الذي يختص بالتركيز على تقديم هذه البنيات وظائفها لفائدة المجتمع، حتى نستحضر كل أجزاء الوحدة الاجتماعية لإبراز النشاط الذي تقوم به هذا تزامنا مع المفكر الاجتماعي "دوركايم". وانطلاقا مع المفكر البريطاني "رادكليف براون".

علم الاجتماع:

يمكن القول أن "علماء الاجتماع الذين لم يتبنو هذه النظرية العامة للأنسقة الاجتماعية، تقاسموا بصورة واسعة في قلب البحث التجريبي التوجيه الوظيفي كما تم تقنينه من طرفّ "روبارت ميرتون" في مؤلفه: عناصر نظرية ومنهج علم الاجتماع 1944، ... حيث كان له صدى واسع ليس فقط في تحليل المجتمعات الشمولية والثقافات، بل وأيضا في دراسة الظواهر المنظمة والظواهر السياسية[86]

اللسانيات:

نعني باللسانيات اللغوية " تحليل اللغة من حيث وحداتها وتتطرق بالوصف الدقيق لهذه العلاقة انطلاقا من نظرتها الخاصة للغة كونها وسيلة التواصل. (تحليل العلاقة بين الدال والمدلول في عملية التواصل بالنظر إلى عملية التحويل أي تبديل دال مكان آخر لمعرفة هل

[86] Gianni Vatimo Mourizio Ferraris, Diego Marconi, Encyclopedie de la philosophie, la pochotheque, librairie general francaise 2002, pour la traduction et ladaptation, p, 588

حدث تغير في المدلول.. ومن أهم التصورات الوظيفية للغة تصور "رومان جاكسون" الذي اقترح نظرية لوظائف اللغة، حيث أسس على كل شرط من شروط التواصل الستة: المرسل، المرسل إليه، الرسالة، السنن (الشفرة)، السياق (المرجع)، القناة، وظيفة لغوية (الوظيفة التعبيرية، الانفعالية، المعرفية، المرجعية ..)[87]

استنتاج:

نستنتج مما سبق أن التيار الوظيفي احدث إضافة نوعية في الحقول المعرفية الأخرى خاصة العلوم الإنسانية، وأن جملة المبادئ التي أسستها الوظيفية لها من الفاعلية والمساهمة في دراسة الظواهر وبناء المجتمع على الطريقة الصحيحة من خلال التنسيق بين نشاطات الأجزاء التي تقوم بها، ولعلها تلك هي الطريقة الصحيحة، لان ما يقوم به الجزء في مقابل الكل يسوده الضبط والدقة على غرار بعض الوظائف الأخرى ومن ثم يمكن القول العمليات التي شدتها النظم المعرفية في التيار الوظيفية أثبتت حضورها وبقوة في الفترة المعاصرة.

[87] Iid, p ; 592.

المحاضرة الثامنة: التيار الماركسي

تمهيد

سنحاول من خلال هذه المحاضرة الوقوف على احد التيارات المهمة في تاريخ الفكر الأوروبي وتسليط الضوء تحديدا على التيار الماركسي ولما أحدثه من تغييرات واختلافات على غرار المذاهب الأخرى، ونظرا الانتقادات التي وجها لهم (العقلانية والتجريبية وغيرها)، بناءا على تفسير الأحداث التاريخية التي طرأت من وراء تعاقب الثورات، وكذلك جملة العوامل التي كانت دافعا رئيسيا في ظهور التيار الماركسي. الذي فرض نفسه كنظرية شاملة لفهم الطبيعة والمجتمع بتوظيف مجموعة من المبادئ والمرتكزات أهمها المادية الجدلية والمادية التاريخية.

الماركسية:

هي تيار ظهر "كضرورة حتمية للدفاع عن وضعية الأحزاب الشيوعية في الدول الاشتراكية في فترة عرفت هزات اجتماعية وسياسية عنيفة (ق19) نجمت عن رواج مفاهيم الديمقراطية والتحرر وتناقضات الاقتصاد الرأسمالي، ولعل أبرز هذه الهزات تلك الحركات الليبرالية والقومية لعام 1848، وثورة العمال ... وهو ما يدل على الأخذ بعين الاعتبار مطالب الشرائح الاجتماعية الشعبية وخاصة منها البروليتاريا الصناعية[88]

وتعني بالتيار الفكري والسياسي والاجتماعي من جهة، وبالتيار التاريخي والانثروبولوجي والاقتصادي القائم على أفكار كارل ماكس وفردريك انجلز ومن سار على نهجم،

[88] الهادي التيمومي، المدارس التاريخية الحديثة، ط1، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، 2013، ص123

المادية الجدلية:

إن العمل الثنائي الذي قام عليه كل من "كارل هينريش ماركس 1818 – 1883) والذي ذاع صيته في الجانب الإقتصادي، والباحث المفكر " فريدريك إنجلز 1820 – 1890" لدليل قاطع على شيوع المادية الجدلية بعد التأثر الشديد بفلسفة كل من "فيورباخ" و"هيجل".

حيث يعد ذلك تركيبا جامعا لمادية القرن التاسع عشر، وبعدها "احتلت المادية الجدلية مكانا شديد الخصوصية في الفلسفة الأوروبية في القرن العشرين، فهي أولا غير ممثلة، أو يكاد في الدوائر الجامعية الأكاديمية ما عد في روسيا، ... وهي مكانة فريدة لا مثيل لها، ولا تسمح للسلطات في روسيا، حيث يسيطر الحزب الشيوعي، بإعلان أية فلسفة أخرى غير المادية الجدلية .. ذلك هو الطابع الرجعي للمادية، بمعنى أن تلك الفلسفة ترجع في الواقع وبشكل مباشر غلى عصر منتصف القرن التاسع عشر، وتحاول أن تعيد إلى الحياة الموقف العقلي الذي كان سائدا في تلك الأثناء"[89] بناءا على الرؤية الطبيعية وظواهرها كنسق مترابط، لأن فهم الظاهرة لا يتم بشكل منفصل عن الظواهر والظروف المحيطة بها في الواقع، وكذلك يمكن القول أنها تجتمع فيه صفات الحركة والتطور والنمو أصل في الأشياء.

أصولها:

المادية:

يذهب أنصار التيار المادي إلى أن فكرة مغايرة تماما اما قدمته بعض المذاهب (العقلانية وغيرها) وهي كون "العالم المادي وحده هو العالم الحقيقي، وأن العقل ليس إلا نتاجا لعضو مادي .. ويرى كذلك ان التعارض بين المادة والوعي لا قيمت له إلا في نظرية المعرفة[90]

[89] إ.م، بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوربا، شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر، 1992. ص106

[90] المرجع نفسه، ص109.

الأمر الذي ينجم عنه تعارض المادة بالوعي، في حين هناك توحيد بين المادة والوجود الموضوعي.

-التطور الجدلي، الواحدية والحتمية:

ينبني عن هذا التطور مجموعة من القفزات التي تحدث عن طريق التغيرات الكمية الصغيرة التي تحدث داخل وجود الشيء بحيث ينتج عنه قوة دافعة لهذا التطور، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن "العالم عند المادية الجدلية ليس له معنى ولا هدف، إذا أردنا الحديث على الدقة، وهو يتطور على غير هدى تطورا أعمى، خاضعا لقوانينه الدائمة الثابتة والقابلة للحساب والإحصاء[91]

-الإنسان والمجتمع:

ترتبط نظريات المعرفة عند انصار المذاهب الاخرى (العقلي والتجريبى ..) عموما بالإنسان وما يمتلكه من قدرات كالعقل والحواس من دون تدخل العوامل الخارجية، على عكس ما تتبناه الماركسية في رؤيتها للإنسان الذي يعد "كائن اجتماعي في جوهره، وبدون المجتمع لا يستطيع الإنسان العيش. فهو لا يمكنه ان ينتج ضرورات الحياة اللازمة لبقائه إلا في إطار المجتمع .. ومن خلال تحديد تلك العلاقات الإنسانية، فإن أدوات الإنتاج ومناهجه تصل إلى تحديد وعي الإنسان[92]

- المادية التاريخية:

يمكن إبراز المعالم الرئيسية للمادية التاريخية من خلال العناصر الآتية:

- نظرة ماركس للتاريخ:

[91] المرجع نفسه، ص111
[92] المرجع نفسه، ص113

رأى ماركس ان المجتمع هو أحد العوامل الاساسية في إحداث التناقضات والتغيرات عبر الازمنة الامر الذي أدى إلى ما سماه بالصراع الطبقي، وقد صرح ماركس بعبارات كثيرة حول ذلك أهمها قوله: "غن تاريخ كل مجتمع حتى يومنا هذا هو تاريخ صراع الطيقات، الحر، العبد، النبيل والعامي، البارون والقن، بكلمة المضطهدوم والمضطهدين كانو على الدوام في مواجهة، لقد خاضوا في صراعا بلا انقطاع، هذا الصراع كان مقنعا احيانا ومكشوفا احيانا اخرى، كان في كل مرة ينتهي بتحول ثورة في المجتمع بكامله، أو بتدمير الطبقات المتصارعة[93]

– المادية التاريخية هي الوجه التطبيقي لقوانين المادية الجدلية على المجتمع.

– الفاعلون الرئيسيون في التاريخ هم المنتجون المباشرون أما البقية فدورهم أقل

– الدولة نظام يهتم بخدمة الطبقة المهيمنة اقتصاديا ولم تكن مؤسسات محايدة

المدرسة الماركسية بعد وفاة أنجلز وماركس:

لقد انقسمت المدرسة إلى عدة اتجاهات، حيث أخذ كل واحد منها من ماركس وإنجلز مقاط يرتكز عليها، ومن هنا نجد الفئة التي ركزت على جانب النزعة العلمية الوضعية عند كارل ماكس وأنجلز.

كما ركزت الفئة الثانية على الجانب الاقتصادي في كتابات ماركس، حيث جعلو الأولوية الكبرى للإقتصاد. واختزلو ظواهر البنية الفوقية وأرجعوها مباشرة إلى البنية التحتية

الفئة الثالثة:

ركزت على جانب الممارسة الاجتماعية في التفكير عند ماركس، وأبرز هؤلاء"لنين" الذي أضاف إلى الماركسية نظرية الحزب ونظرية الثورة والدولة.

[93] فريد بن سلمان، مدخل ألى دراسة التاريخ، مركز النشر الجامعي، تونس، 2000، ص112

– لعله يمكن القول بأن الماركسية استطاعت من خلال نظرية المادية الجدلية والمادية التاريخية ان تقدم تفسيرا شاملا يتجاوز البناء النظري ليستوعب مختلف العمليات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، مقدمة بذلك قراءة علمية وواقعية لتطور المجتمع عبر التاريخ.

الانتقاد الموجه للماركسية:

يعد اهم انتقاد وجه للمادية التاريخية في كون ان الديالكتيك عند كارل ماكس لم يستمر، بل توقف مع المجتمع الشيوعي، حيث أن هذا التوقف لم يوجد له مبرر بما أن الحركة من منظوره مستمرة، بل اكثر من ذلك هو أن معالم الصراع المادي واحدة وغير متعددة وهو الذي يقتصر على الصراع البشري فقط. غير ان جملة الانتقادات الموجهة للماركسية لم تتسبب في إلغائها بشكل نهائي، بل لا زالت قائمة إلى حد الآن وقيامها دائم على جميع الأصعدة.

استنتاج

نستنتج في الأخير أن التفكير الماركسي قد غير في الكثير من المحطات الفكرية المبادئ والنمطلقات من خلال القواعد والأنظمة التي أرس قواعدها خاصة الرؤية المادية والديالكتيكية للوجود والمجتمع من خلال التفسير والعمل على تغييره. وذلك بالعمل على إزالة كل الشوائب وأشكال الاغتراب والتشيؤ، واللامساوات في ظل نظم اشتراكية صالحة.

إن النظرية وحدها لاتستطيع القيام بشيء، وتغيير الإطارات والمفاهيم العقلية ولا يفيد إذا لم يقترن بتغيير الإطار المادي للمجتمع، وذلك من خلال التفاعل الجدلي بين المستوى النظري والتطبيقي العملي.

المحاضرة التاسعة: التيار التطوري

تمهيد:

نحاول من خلال هذه المحاضرة الوقوف على أهم التيارات الفكرية التي أخذت طابعا شموليا نظرا لأبعادها المتفرعة، والتي مست جميع التوجهات الفكرية الأخرى، فتسميتها بالتطورية تجلت عبر مراحل الفكر وسياقاته التاريخية التي أبانت الصورة الحقيقة لمعناها، وهذه الأخيرة لها صلة وطيدة بجميع العلوم سواء الطبيعية أو الاجتماعية او الفيزيائية والأنثربولوجية إلى غيرها من العلوم الأخرى، وعلى هذا الأساس حضيت التطورية باهتمام بالغ منذ الفترة القديمة إلى اليوم، ويعود ذلك إلى تطور العلم على حساب مقتضيات العصور من جهة، والوعي الإنساني من جهة أخرى، ويظهر ذلك جليا من خلال التقدم الفكري والنمط المعيشي ومدى اختلافه عبر المراحل، وعليه: سنستعرض أهم العناصر الرئيسية التي تشمل التيار التطوري وكذا الأسس المعرفية التي بنيت عليها، انطلاقا من سؤال: ما معنى التطورية؟.

تعريف التطورية:

هي "منظومة فلسفية أو علمية مرتكزة على فكرة التطور بكل معاني الكلمة، بنحو خاص: أ- فلسفة الصيرورة، مقابل فلسفة الخلود والثبات. ب- مرادفة للتحولية Transformisme، ج- مذهب يقول إن القانون العام لنمو الكائنات هو التباين المصحوب بتدامج[94]

" تمثل فكرة التطور توجها أساسيا في العلوم، خاصة في البيولوجيا وعلم الأحياء، ولها تأثير واسع في مجموعة واسعة من التخصصات مثل علم الاجتماع وعلم النفس وعلم الأرض. يعتبر العلماء التطوريين أن التغيرات الوراثية والبيئية تتفاعل معا لإنتاج التنوع الحيوي وتطور الكائنات الحية".

[94] أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001، ص381.

نظرية التطور:

هي "هي النظرية السائدة في العلوم الآن، وهي الصفة التي اصطبغت بها عقول جميع المفكرين في عصرنا الراهن .. فالتطور قانون شامل يسري على عالم الجماد وعالم الحيوان على السواء، وهو يقضي بان الحي او الجماد دائم التحول لا يثبت على حال واحدة"[95].

وبمعنى آخر تمثل النظرية التطورية "الرجاء والرقي، وهي المفتاح الذي يفتح لنا مغاليق الماضي المتهم ويرسم لنا مصير الإنسان[96].

تاريخ نظرية التطور:

لم يكن الحديث عن مصطلح التطور في الفترة المعاصرة فحسب، إنما العودة إلى التاريخ تحيل لنا معرفة بذوره الأولى منذ نشأة التفكير ذاته، إذ يمكن القول ان الظرية التطورية مرت بمجموعة من المراحل يمكن الإشارة عنها وفق ما يلي:

لقد كان ""لوكريتيوس" الذي عاش حوالي سنة خمسين قبل الميلاد المسيحي أجرأ القدماء وأبعدهم نظرا في التطور، فكان يقول إن التحول هو سنة الكون. وإن ما تقوله الأديان الإغريقية عن أصل العالم خرافات، وإن الإنسان كان وحشا ضاربا هذبته المدينة، وإنه عرف النحاس، ثم عرف بعد ذلك الحديد، وإن اللغة نشأت بضرورة علم الاجتماع والحضارة."[97]

و" الإغريق أول من لمح هذه النظرية، وكان "أرسطو طاليس" يشير إليها ويؤمن بوجود قوانين طبيعية ثابتة لا تتغير بمشيئة الآلهة. وقال عن أصل الحياة في النبات أنها نشأت قبل أن تنشأ الحيوانات"[98].

[95] سلامة موسى، نظرية التطور وأصل الإنسان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص14
[96] سلامة موسى، نظرية التطور وأصل الإنسان، ص19
[97] سلامة موسى، نظرية التطور وأصل الإنسان، ص16
[98] سلامة موسى، نظرية التطور وأصل الإنسان، ص15

ومن بين الفلاسفة الطبيعين الذين أولو اهتماما بالتطورية "أنكسمندر" الذي لاحظ "أن الإنسان ظهر بعد الحيوانات كلها، ولم يخل من التقلبات التي طرأت عليها، فخلق أول الأمر شنيع الصورة، ناقص التركيب، وأخذ يتقلب إلى أن حصل على صورته الحاضرة"[99]

وفي القطعة التي ننقلها عن كتاب "عجائب وغرائب" للقزويني إيماء إلى هذه النظرية، قال:

أول مراتب هذه الكائنات تراب، وآخرها نفس ملكية طاهرة. فإن المعادن متصلة أولها وآخرها بالنبات. والنبات متصل، أوله بالمعادن وآخره بالحيوان، والحيوان متصل أوله بالنبات وآخره بالإنسان، والنفوس الإنسانية متصلة أولها بالحيوان وآخرها بالنفوس الملكية[100]

وقد ذكر "ابن مسكويه" في مؤلفه الشهير "الفوز الأصغر"، وفي حديثه عن مراتب الإنسان: "إنها مراتب القرود وأشباهها من الحيوان الذي قارب الإنسان في خلقته الإنسانية، وليس بينها إلا اليسير الذي إذا تجاوزه صار إنسانا[101]

كما أن ابن خلدون قد "ربط بين اختلاف أشكال وألوان الناس، وأخلاقهم وعاداتهم، وبين ظروف البيئة كالحرارة أو البرودة، إلى جانب ملاحظته وجود ترقي ونطور يتجلى في التدرج في المستوى والتعقيد[102]

والجدير بالاطلاع هو ما أحدثته فترة القرن التاسع عشر مع التطورية التي أضحت موضوعا للاستقراء والتحليل من طرف الكثير من العلماء والمفكرين الذين اختلفت آراءهم حول معالم التطور في جميع الميادين العلمية منها والطبيعية. فمنذ ولادة "لامارك" الفرنسي الذي توفي سنة 1829، وصاحب فكرة ان جميع الحيوانات والنباتات تنتمي إلى أصول قديمة غي أن التأثيرات التي تطرأ عليها مع مر العصور وإعادة تكاثرها من جديد وسط جملة من العوامل والأسباب التي مكنتها من تغيير صورتها في جميع المستويات الأمر الذي أدى إلى تجريدها

[99] تشارلز داروين، أصل الأنواع، ترجمة اسماعيل مظهر، مؤسسة هنداوي، 2018، ص12
[100] سلامة موسى، نظرية التطور وأصل الإنسان، مرجع سابق، ص16
[101] المرجع نفسه، ص17
[102] تشارلز داروين، أصل الأنواع، مرجع سابق، ص21

مما كانت عليه سابقا، وعلى هذا الأساس بدأ انتشار الأفكار المختلفة حول موضوع التطورية خاصة مع المفكر والعالم الإنجليزي "داوين" صاحب مؤلف "أصل الأنواع 1859" والذي يعد رائد التطورية.

الأسس المعرفية للتيار التطوري من منظور "داروين":

تقوم نظرية داروين الشهيرة حول مفهوم التطور والعوامل المؤدية إليه على جملة من المبادئ والأسس التي لم يتوصل إليها إلا بعد الكشف عن أنواع التأثيرات التي يتعرض لها الكائن الحي، والتي أدت تغير هذه الكائنات عن طريق الوراثة. الأمر الذي يجعل من الأجيال الصاعدة أن تتمظهر على الصورة الجديدة التي قد تقطع الصلة مع ما هو ماض وأصيل، حيث يقول في هذا السياق: "إننا في جميع الحالات نجهل كل شيء عنها، ولكننا نستطيع أن نرى أن لها في الإنسان كما هو الحال في الحيوانات الأدنى منه، بعض العلاقة مع الظروف التي قد تعرض لها كل نوع خلال التعاقب للعديد من الأجيال"[103]

إن هناك نشوء طبيعي يميز الحياة كما أن هنا ارتقاء وتطور يؤدي إلى بروز انواع جديدة أكثر قابلية للتكيف حيث لها من المؤهلات بما يسمح لها بالاستمرار وبمعنى آخر ان الطبيعة تقوم بفعل الاصطفاء والانتقاء.

- الانتخاب الطبيعي:

يعد من العناصر الأساسية التي ركز عليها داروين من منطلق أن "الذي يحدث نتيجة لشح الغذاء بسبب التزايد السكاني، فغن الأحياء تضطر للتصارع فيما بينها، والطرف القوي

[103] تشارلز داروين، نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي، المجلد الاول، ترجمة: مجدي محمود المليجي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى، ص133

(درجة تكيف) في هذا الصراع هو الذي يبقى ويستمر في الحياة، أما الضعفاء فمصيرهم الزوال"[104] هذا ما أطلق عليه داروين ب: قانون الصراع من أجل البقاء.

قانون الانتخاب الجنسي: يبين داروين في كثير من المحطات الفكرية ان هذا القانون يترتب أثناء عملية إقبال الذكر على الأنثى بحيث يتم التركيز على تحسين النسل ولا يتحقق ذلك إلا بحسن الإختيار، فالانتخاب الجنسي قائم على عدة عوامل قل ما تتوفر في الأفراد من أجل الظفر بالأنثى المرغوبة كالعوامل الخارجية التي لها دور وصلة بالانجذاب.

قانون الوراثة:

يعد عامل الوراثة اساسا فعال من منظور داروين، ذلك لتوفير شروط التطور من خلال الاختلافات الموجودة بين الاجيال، ومفهوم الوراثة هو "امتزاج بعض صفات أحد الوالدين بصفات الآخر لتورث إلى نسلهما، مما يؤدي إلى ظهور صفات جديدة في الجيل الجديد لم تكن موجودة عند آبائهم ... مما يشكل نوع جديد يختلف عن الآباء

بعض مجالات التطورية:

علم الاجتماع:

سان سيمون:

يعد واحدا من أبرز الفاعلين واللذين أشاروا إلى أن "المجتمعات تخطو دائما نحو التقدم، وأن معرفة الحقائق في الماضي تساعد على معرفة أسباب التقدم وبين أن التطور التطور الذي يحدث في المجتمعات لا ينبغي رده إلى الجوانب الاقتصادية وحدها وإنما يحدث نتيجة لعدة جوانب من بينها الجانب الاقتصادي، وأنه لا يمكننا تفسير تاريخ المجتمعات من خلال دراسة ظاهرة محددة، وإنما يتم ذلك من خلال دراسة وتفسير العديد من الظواهر الاجتماعية

[104] محمد فتح الله، كولن، حقيقة الخلق ونظرية التطور، ترجمة: اورخان محمد على، دار النبل للطباعة والشر، جمهورية مصر العربية ، الطبعة الثانية، 2006، ص30

في المجتمع الواحد. ويعد "سيمون" من احد رواد علم الاجتماع الذين رأوا ان التطور سمة عامة تتسم بها المجتمعات الإنسانية، وإن المجتمع يمر من مرحلة إلى مرحلة اخرى أكثر تطورا، وإن المرحلة الحالية أفضل من المرحلة السابقة والمستقبل أفضل من الحاضر[105]

ومن جهة أخرى يمنح "سيمون أهمية كبيرة على التربية والتعليم التي تعمل على غرس نسق من القيم الاجتماعية يمكن من الوصول إلى اتفاق عام حول هذه القيم والذي يعتبر الأساس الذي يمكن المجتمع من القيام بوظائفه المختلفة، وبالتالي فهو يرى إن التنمية الاقتصادية ليست فقط هي ما تحتاج إليه البشرية بل هناك حاجة أيضا إلى تنمية الفنون[106]

أوغست كونت:

"بين تقدم الإنسانية وسيطرت الإنسان على الطبيعة، فكلما تقدمت الإنسانية ازدادت سيطرة الإنسان على قوى الطبيعة نتيجة للازدياد المستمر للأفكار العامة المجردة الجديدة، وإن جانب التقدم العقلي من التنمية جانب أساسي، لأن نمو الأفكار يحكم التاريخ ويوجهه، وبالتالي يؤدي التقدم العلمي إلى التقدم المادي[107]

كما أولى "أوغست" كونت اهتماما بالغا للتطور الذي شهده الإنسان عبر التاريخ، حيث يتضح ذلك من خلال المراحل الأساسية الثلاث التي أقامها بدءا بمرحلة التفكير الخيالي وبعبارة أخرى المرحلة اللاهوتية، ثم المرحلة التي تعني بالتفكير الميتافيزيقي، وأخيرا المرحلة الوضعية التي ارتكزت أساسا على الجانب العلمي او المنطقي، وهي المرحلة التي تميز بها العقل في مقابل المراحل السابقة، حيث تم فيها الخضوع للقانون الذي منح الفرد حقه في مجالات الحياة.

[105] كمال التابعي، تغريب العالم الثالث، دار النصر للتوزيع والنشر، القاهرة، ط2، 1995، ص62،

[106] أحمد مجدي حجازي، شادية علي فتاوي، التنمية والتخلف في المجتمع المصري، جامعة عين شمس، كلية الآداب، القاهرة، 1988، ص34، ص35

[107] علية حسن حسين، التنمية نظريا وتطبيقيا، الهيئة المصرية العامة للكتاب – الإسكندرية، 1977، ص46

علم الكيمياء:

لقد مثلت النظرية التطورية قاعدة كبرى في علم الكيمياء خاصة مع مطلع القرن التاسع عشر، والذي أنتج كما هائل من العلماء ذات الصلة بالتخصص، حيث تعددت النظريات والرؤى حول نشأة الحياة والخلية الأولى انطلاقا من العمليات الكيميائية ومدى تجاوز علماء البيوكيمياء العوائق الابستيميلوجية التي تتعلق بتعقيد الخلية . الأمر الذي اوجد اختلاف كبير بين الفترتين (الكلاسيكية والمعاصرة) ومن أبرز التصورات التي يمكن تقديمها هي:

- الكيمياء بين المذهب الحيوي والمذهب المادي:

يعد "جونز جاكوب برزليوس 1779 – 1848) أحد كبار علماء ومؤسسي الكيمياء الحديثة والمذهب الحيوي "حيث تنص هذه النظرية باستحالة تخليق المركبات العضوية خارج الكائنات الحية، أي أن هناك قوة داخل الخلايا والأنسجة الحية" [108].

إن تقديم نموذج "جونز جاكوب برزليوس" لإثبات الدور المنطوط الذي أدته نظرية التطور وذلك من خلال ما صادفته هذه النظرية مع مطلع القرن التاسع عشر بعد نجاح تجربة العالم الألماني "فريدريك فولر 1800 – 1828) في تجربته التي أظهرت تحققا بالمخبر أن إمكانية تخليق المركبات الكيميائية في الكائنات الحية اصطناعيا. وهو الدليل القاطع على إبطال النظرية السابقة، وهذا مثال يمكن الاقتداء به أثناء القول بفاعلية التطورية داخل مجال الكيمياء وفروعه.

[108] فاطمة الزهراء روابحية، البيوكيمياء التطورية وفرضية داروين لنشأة الحياء والخلية الاولى، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، المجلد11، العدد01، 2022، ص482

استنتاج

نستنتج من خلال ما قدمته النظرية التطورية عبر التاريخ أنها مثلت الركيزة الأساسية للدفع بعجلة النمو الفكري والوعي خاصة الإنساني، حيث أن مرافقها لجميع العلوم جعلت منها مركزا أساسيا للتغيير والتجديد، ويظهر ذلك جليا لتعاقب النظريات وتطوير النتائج خاصة ما تعلق بالإنسان الذي استطاع أن يتميز عن باقي الكائنات الأخرى، وذلك عن طريق الكشف عن ما كان عليه قديما والصورة التي بناها على نفسه اليوم، لم يتحقق ذلك إلا بع التطور العنيف الذي شهدته النظريات بمختلف مجالاتها.

المحاضرة العاشرة: التيار الوجودي

تمهيد

يعد التيار الوجودي من المباحث الكبرى في تاريخ الفكر الفلسفي، ذلك لضرورته القصوى والتي يترتب من خلالها التساؤل حول أصل العالم الذي نعيش فيه، حيث حيث تعدد الرؤى واختلفت المفاهيم والتعريفات التي شملته منذ الفترات القديمة أو بالأحرى منذ فترة الفلاسفة الطبيعيون الذين أخذوا الموضوع من زوايا مختلفة حول المصدر الرئيسي لأصل الوجود. هذا ما سيترتب عنه في هذه المحاضرة بدءا بمفهوم الوجود وتطوره عبر العصور انطلاقا من الفترة القديمة (قبل اليونان) مرورا بالفترة الوسيطية (التيار المسيحي والتيار الإسلامي) ثم المرحلة الحديثة ومن ثم الولوج إلى الرؤى المعاصرة حول إشكاليات الوجود، ليتسنى لنا معرفة الآليات الفكرية التي تحيلنا إلى إدراك ما يحيط بنا، وعليه سنعرض في هذه المحاضرة أهم الفلاسفة الفاعلين في هذا السياق (الفلاسفة الطبيعين، أفلاطون، أرسطو، نيتشه، هيدغر ...إلخ.

تعريف الوجود:

لغة:

كلمة وجود: مشتقة من الكلمة اللاتينية Esse والتي تعني "أن يكون" وضدها العدم واللاوجود [109]، أما لغة فنجد أن الوجود كلمة مشتقة من وجد، يجد وجودا، ليس للوجود تعريف لان ليس له حد وليس له رسم إذ هو ابسط المعاني وأعمالها فلا جنس فوقه يعرف به ولا فصل نوعي يميز من حيث إن كل ما يعرض للوجود فهو وجد

[109]- Dictionnairee ensyceclipedique. Larousse. Opcit. P412.

اصطلاحا:

هو الحقيقة الدائمة، أو الحقيقة التي نعيش فيها وهو بهذا المعنى مقابل للحقيقة المجردة والحقيقة النظرية وقد يراد بالوجود اصطلاحا من مصدر وجود أو "كان" être فيكون معناه الوجود الحقيقي أو الواقعي، وقد يراد به بمعنى أعم من ذلك فيطلق على وجود الشيء في ذاته أو على الوجود الشيئي للشيء فيكون بمعنيين الأول وجود لغيره بأن يكون رابطا بين الموضوع والمحمول، وغير مستقر بالمفهومية عنه ويسمى وجودا رابطا، أما الثاني فهو وجود الشيء لغيره بأن يكون محمولا عليه ومستقلا بالمفهومية عنه كوجود الأعراض[110]، إن الوجود ليس له تعريف، لأن ليس له حد وليس له رسم، إن هو أبسط المعاني وأهمها فلا جنس فوقه يعرف به، ولا فصل نوعي يميزه من حيث إن كل ما يعرض للوجود فهو وجود وما معنى أوضح وأني من معنى الوجود حتى وهو الوجود، أي يعني فعل الوجود أو الوجود بالفعل والآخر كاسم أي الموجود وهو إما إن يكون الماهية الحاصلة على الوجود وإما أن يكون النسبة التي تربط المجهول للموضوع في الذهن، والوجود عند الغزالي لا يدخل قوافي ماهية الأشياء بل هو مضاف إلى الماهية وهو كذلك عن ابن سينا إذ هو عرض لاحق للماهية[111]، كل شيء له ماهية فإنه إنما يتحقق موجودا في الأعيان أو متصورا في الأذهان...وأسباب وجوده أيضا غير أسباب ماهيته"، أول الإشارات. وعند ابن رشد الوجود ليس زائدا على الشيء فقولنا في الشيء إنه موجود فإنه ليس يدل على معنى زائد على جوهره خارج النفس وفي هذا غلط ابن سينا فظن أن الوجود زائد على الشيء في قولنا أن الشيءموجودا[112].

[110] - جميل صليبا المعجم الفلسفي ج2، دار الكتاب للنشر بيروت د-ط، 1982، ص8.

[111]- مراد وهبة، " المعجم الفسلفي"، للناشر دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007، ص93.

[112]- مراد وهبة، المعجم الفلسفي، ص94.

أصل الوجود:

هذا الوجود الواقعي المليء بالنشاط والحركة أمر واقع بالضرورة، وهو وجود فيه نظم وحالات من التنظيم والتشريع تسترعي الذهن وتدعوه إلى البحث، ومجموعه يكون كلا مطلقا لا يعقل صدوره إلا عن علة، ولا ينزع في أهدافه إلا إلى غاية ثم يقرر وجود علته، ويدل عليها ما يتضمنه الوجود نفسه من ألفة وترابط وفاعلية وحياة، وما يبدو أنظمة وتسبقه من إدراك وإرادة يظهر إن أن في أرقى كائناته الحية بحالة جلية واضحة، وكلها خصائص تظهره كجسد واحد حي"[113]، وحتمية وجود الوجود ذاتا موضوعا وعلة، وهو شرط التكامل حقيقة لا تحتمل الشك لواقعيته وتمكنه في الوجودية مناقضة للعدم وميله بسائر ما يحتويه للتحول والصيرورة، الأمر الذي ينبئ عن قصد فيه وغاية له، وعلة مدركة تؤثر كل ذلك[114]، وعلى هذا يمكننا القول بان فكرة الوجود بقيت كأطروحة تسلسلت عبر العصور وتعددت الآراء واختلاف المعاني حوله، ولذا فقد شعر أفلاطون بأن هناك أشكالا لابد من حله وهوان يحد تعريفا للوجود هذه المشكلة التي لم يستطيع الفلاسفة السابقون عليه أن يجدوا لا حلا واضحا فقد ذهب البعض إلى وصف الوجود من ناحية العدد فمن قال بأنه وحده ومن قال أنه كثرة وذهبوا كذلك إلى وصفه من ناحية الكيف فمن قال بأنه مادة خالصة ومن قال بأنه أفكار ثابتة تماما لا حركة فيها[115].

معنى الوجود:

لقد اختلف باختلاف المفكرين ومن بينهم "كيركوكارد" فقد كان مهتما بالبحث عن مفهوم أنطولوجي الوجود الإنساني اهتمامه بالمراحل العامة للحياة الإنسانية وسيمات الإنسان الرئيسية في ذاتية الواقعية حيث بين ثلاث معاني لبنية الوجود التي تشكل الوجود الإنساني العيني، في هذا الإطار يدل الوجود العيني أولا على الواقع، والممكن والعيني والزماني

[113]- محمود العفيفي، "مباحث في الله والطبيعة والإنسان"، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د-ط، د-س، ص130.

[114]- المرجع نفسه، ص133

[115]-دهاني محمد رشاد، "الوجود واللاوجود في جدل أفلاطون"، جامعة القاهرة فرع الخرطوم- ط1- س 2001، ص110.

للوجود الإنساني ويشير ثانيا إلى المفهوم المجرد للوجود[116]، بمعنى أن الوجود يتعدد وهو كمفهوم حمال لأوجه، بين الممكن والواقع، تسكن هناك معان للوجود تتجسد عبر الزمان والسيرورة، والإنسان هو الكائن الوحيد الذي يعي هذه الأبعاد.

أمَّا عند مارتن هيدغر فإن المصطلح الذي استخدمه هيدغر لمعرفة الوجود هو الإحالة أو الإشارة Aufweising لان الوجود لا يقبل البرهان للتدليل عليه، بل فقط الإيضاح والكشف، وذلك بالإشارة إليه لان الوجود اسم مشترك بين كل الأشياء والأحياء وهو يشمل السائل نفسه الذي يسأل عن معنى الوجود، ومن المستحيل النظر إليه من الخارج أو استنباطه من شيء سابق عنه،لكن أين تتجلى ظاهرة الوجود؟[117]

سؤال الوجود"جينيالوجيا / كرونولجيا" :

الفترة القديمة أرسطو:

يرى أرسطو أن الوجود هو العلل الكلية حيث جعل الحكمة هي أعلى العلوم النظرية لأنها علم يدرس الوجود بما هو موجود و محمولاته الجوهرية و الطبيعة الحقّة للوجود تتجلى فيما هو دائم، فهو العلم الأول، وكلمة أول تشير إلى الأولوية المنطقية أي موضوعه أسبق منطقيا من العلوم الأخرى[118]، وفي قاعدة الكليات يوجد جنس أعلى هو الوجود، و المقولات العشر في المنطق هي أنواع لجنس الوجود أو الصّور التي بها يتحدّد الوجود، فهو محمول على كل الموجودات التي هي موضوعه، فهو جنسا الأجناس، قسم الوجود إلى أجناس عليا سمّاها بالمقولات أي ما يقال أو يحمل على موضوع الحكم، أوّلها الجوهر(الوجود) ثم الأعراض و هي الكم و الكيف و الأين و المتى و الفعل و الانفعال و الوضع والإضافة أو النسبة و الملك. و الجوهر هو العلة التي تجعل الأشياء ما هي عليه إنه الإجابة عن السؤال

[116]- دهاني محمد رشاد، مرجع سابق، ص110، ص111.

[117]- عبد الرحمن بدوي: "الموسوعة الفلسفية" ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984، ص602.

[118]-المرجع نفسه، ص 166.

لماذا؟ على أن تكون هذه الإجابة مجردة و ما نصفه على نحو مجرد لأنه الماهية بعد علة غائية أحيانا وأحيانا أخرى علة فاعلة علما بأن الماهية الأرسطية ليست مثلا أفلاطونيا متعاليا و إنما كامنة في العالم. فالعلل عند أرسطو متقدم على القوة بالإطلاق[119]، كما نجد اسم الانطولوجيا عند السيكولائيين مماثلا لتعريف اليونان و أطلقوا عليها الصفات المشتركة لكل الموجودات.

ديكارت:

[120]،أمّا في العصر الحديث فيمكن الحديث عن ديكارت (1596-1650) فلقد أحلّ الفكر و المعرفة في المحل الأول و الذي تبدأ منه الميتافيزيقا هو الكوجيتو و الوعي بالأنا المفكر هو وعي بالوجود الأول المباشر،فهو مع أمثاله الذين اتفقوا على أنّه لا معرفة مع سرعة التصديق و رأى أن العقل أداة لاكتساب العلوم و بالمقابل استخدام العلوم كأداة تحسين العقل و ماله، ونقول مع هيدغر:"لقد ظلت ميتافيزيقا ديكارت محكومة بميتافيزيقا أفلاطون و أسطو، ذلك لأنه ظلّ يتحرك على الرغم من بداية التفلسف الجديدة داخل سؤال ميتافيزيقي ما هو الوجود؟ ، فالأنا المفكر باعتباره جوهرا فكريا قبليا هو أساس أو مبدأ وجود الموجود و إنّ حقيقة هذا الأخير تتأكد لمّا تثبت فكرة أو صورة ذهنية تراها الذات وتستحضرها نورا و تحولها إلى قول، و يقول هيدغر عن الكوجيتو "إنّ كل وعي بالأشياء و بالموجود في كليته يسترد إلى الوعي الذي تكونه الذات عن نفسها باعتبارها الأساس الثابت للنفس"[121]

كانط (1764-1804):

لقد تأثر بموقف ديكارت الذي واجه الوجود عن طريق المعرفة و ليس موضوع الفلسفة عند كانط هو الوجود بل المعرفة العلمية (الرياضيات و مبادئ الطبيعيات) فالوجود عنده ليس

[119]– ريجليس جوليفيه، المذاهب الوجودية ، تر: فؤاد كامل ، مر: محمد عبد الهادي أبو ريدا ، دار مصر للطباعة و النشر، د(ط،س)، ص86.

[120]– دراسة توضيحية مستقاة من أعلام الفلسفة الوجودية ، معنى الوجودية ، منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت ، د(ط،س)، ص24

[121]– محمود أبو الفيض المنوفي ،كتاب الوجود ، دار الكاتب العربي للطباعة و النشر- القاهرة ، د(ط،س)، ص60

محمولا و لا موضوعا فهو زائد على ماهية الموضوع و يضاف إليها من الخارج بناءا على التجربة، فالشيء الموجود عند كانط معناه موجود كظاهرة التي هي ثمرة لأفعال العقل التي بها يفهم معطيات التجربة الحسية، فهو حطّم الأنطولوجيا من أفلاطون إلى ديكارت، رأى كانط أن المعرفة ممكنة بمساعدة المقولات و رفض أن يكون الوجود محمولا فالأشياء في ذاتها منفصلة عن مجال معرفتنا.

هيجل (1770-1831):

هو الفكرة التي لها منطقها الجدلي وهذا الوجود الخالص هو التجرّد الخالص و النفي المطلق فيتم الانتشار الجدلي على أساس النفي من الوجود إلى العدم ثمّ يتحد الوجود و العدم في حدّ ثالث هو الصيرورة و تستمر الحركة الجدلية من القضية إلى النقيض إلى المركب بينهما حتى تصل إلى الموجود لذاته[122].

التيار الوجودي:

هو"رد فعل لا عقلاني ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى في ألمانيا وبعدها في فرنسا وبعد الحرب العالمية الثانية في بلاد أخرى منها الولايات المتحدة الأمريكية، وقد أثرت تأثيرا كبيرا على الفن والأدب الحديثين في المجتمع الرأسمالي، وفي الإطار العقلي لقطاع كبير من المفكرين"[123]. حيث ساهم الكثير من الفلاسفة على اختلاف مشاربهم في تطوير ونشأة الاتجاه الوجودي على سبيل الداني ماركي كيركيغارد ومارتن هيدغر، هذا الأخير الذي منح للوجودية صبغتها النسقية حين انتقلت إلى ألمانيا لتنفتح بعد ذلك على

[122]– يحي هويدي، دراسات في الفلسفة الحديثة و المعاصرة ، دار النهضة العربية للنشر– القاهرة ، د(ط) ، 1968، ص490.

[123] محمد جواد مغنية، مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ودار الجواد، بيروت، لبنان، دط، ت، ص145

الأدب والفن والثقافة والسينما مع طائفة من الفلاسفة أشهرهم سارتر، وسيمون دي بوفار وميرلوبونتي إلى غيره من الآخرين.

اهتمامات الوجودية:

لقد منحت الوجودية قسطا واسعا من اهتماماتها حول الإنسان، هذا الأخير الذي يمكن القول أنه كاد أن يفقد مكانته وفاعلية وجوده داخل هذا الفضاء المعاش جراء ما قدمته التكنولوجيا والتقدم العلمي الذي جعل انوجاد الإنسان شبيه بالآلة التي عملت على تغيب دوره داخل العالم وبالتالي فقدان الأثر الذي يتجلى في كينونته. " فالإنسان بكيانه البشري الواقعي الموجود في العالم ليس عقلا فقط، وليس ذات أو شعورا فقط بل هو تجربة شاملة يخوض فيها مواقف يلتحم من خلالها التحاما واقعيا مع الحياة والناس"[124]، لذلك وجب عليه التفاعل وقفا لما تمليه عليه إحساساته وتفكيره وشعوره من وراء ما يحيط به، حتى تكون أسئلته حول الوجود دلالة على وجوده في حد ذاته.

الاهتمامات التي لها صلة بالوجودية:

1- **الذاتية:** يسعى الإنسان من خلالها إلى تحقيق ذاته، ولا ينتهي ذلك إلا عن طريق البلوغ إلى درجة الوعي بهذه الكينونة التي هو عليها ومن دون أي واسطة تعمل على ذلك.

2- **القلق:** لقد عبرت الفلسفة الوجودية بشكل كبير عن مدى القلق الذي ينتاب الإنسان المعاصر حيث ظل هذا الأخير يعيش كل أنواع اليأس داخل هذا العالم الذي ينتابه الخوف فيه ليصبح القلق أن الفلسفة الوجودية تيار فكري يتضاد مع فكرة الموت والسقوط والدمار وما شابه ذلك، بتوضيح آخر القلق الوجودي ظهر منذ لحظة انبثاق الإنسان على هذه الأرض

[124]. يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1993ص121.

3- **الاغتراب:** يعيش الإنسان داخل هذا العالم وكأنه غريب ويظهر ذلك جليا من خلال رديف الأسئلة التي يسعى ويجاهد للبحث عن إجابة لها باستمرار والدافع من وراء ذلك هو أنه "لا هو عرف من أين جاء ولا إلى أين يذهب، ولا الحكمة من الذهاب والإياب. إنه سقط غريبا في دنيا غريبة، وعليه أن يتوافق مع ظروف جديدة"[125]

4- **الإلحاد:** لقد غمرت الفلسفة الوجودية النظرة الإلحادية انطلاقا من الحرية التي يمتلكها الإنسان في الاختيار، إذ أصبح تصورها له على انه بإمكان إيجاد نفسه بنفسه من خلاله قيامه بالفعل والحركة وهو تصور يقوم على تأليه الإنسان.

المذاهب الوجودية:

أ - المذاهب الواحدية : هذا الطرح مبني على أن أصل الوجـود يعـود أي مادة و روح و من الأوائل الذيــن قالوا بهذا الطرح في الفلسفة اليونانية نجـد فيتاغورث الذي قال بأن أصل الوجــود يـعود للعدد واحد و منه يتفرع الوجــود كاملا و المذاهب الواحدية ذاتها تنقسم إلى أقسام و هي الواحدية المادية[1] و أبرز من قالوا بهذا الطرح هم الفلاسفة قبل سقراط أو الطبيعيون مثل طالس ، أنكسمانس ، حيث أرجعوا أصل الأشياء في تعددها إلى أصل مادي واحد منه تخرج منه جميع الموجودات و نلاحظ مثـلا أن طاليس أرجع ذلك الماء فمنه تخرج جميع الموجودات و رد أنكسيمانس الأصل في الوجود إلى الهــواء و أما هيراقليدس رد ذلك إلى النار و كذلك ديموقريطس الذي أرجع الوجود إلى الذرة و قد امتد هذا المذهب الواحدي المادي إلى غاية العصـر الحديث حيث دافع توماس هوبز عن التفسير الواحدي المادي للكـون

الواحـــدية الروحية : تفسر الواحـدية الروحية الوجـود بالعقل أو الروح وحدهما و لا وجود بدونهما ، أي أن طبيعة الأشياء الكامنة وراء الظـواهر المحـسوسة روحية في أصلها ،و في تاريخ الفكر الفلسفي الحديث نجد الفلسفة الألمانية المطلقة هي من تتبنى هذا التفسير

[125] أنيس منصور، الكبار يضحكون أيضا، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2004، ص579

[1] - المرجع نفسـه ، ص .92 .

الأنطولوجي و من أمثالها فيخته شلينج ،هيجلو خاصة الأخير الذي يربط حتى التاريخ في حركته و تطوره يرجعه في أصله الأول إلى الروح بمعنى كل شيء يتحرك إلا داخل الروح

و هي تتميز عنده بالمطلق و بعبارة أخرى توجه هيجل هو ديني و يميل إلى الديانة المسيحية و منه جاءت فكرة الثالوث وفق فكرته القائمة على الجدل .

الواحدية المحايدة :يرفض هذا التصور التصورين السابقين لأصل الوجـود و يرى أن أصل الوجـود لا هو مادي و لا هو روحي بل هــو محايد (الله) ،و قد تبنى هـذا الطــرح في الفلسفة الحديثة الفيلسوف سبينوزا ، إذ يرى أن الروح و المادة لا يمكن اعتبارهما أصل للوجود لأنهما مجرد صفات من الوجـود ذاته .[1]

المذاهب الثنائية : ترى المذاهب الثنائية أن طبيعة الوجود تقوم كلها على ثنائيات مادية أو لا مـادية مثل العقل و المادة ،و الجسم و النـفس ، الذات

و المـوضوع غير ذلك و كان من الأوائل الذين قالوا بهذا الطرح " إنكساعوراس " في الفلسفة اليـونانية ، حيث ميز بين العقل و المادة و اعتبر أن العقل هو مبدأ الحركة في هذا الكـون بينما المادة فلا نـظام فيها و ذلك لأن و لا جود فيها لانهاية الذرات و تتميز المادة بالفوضى في حين أن العقل يتميز بالنظام و في الفلسفة الحديثة يعتبر ديكارت هو المؤسس لهذا المذهب و يرى أن الوجود له جوهرين هما النفس و خاصيتها التفكير و الجسمو ماهيته الامتداد.

المذاهب المتعددة : بعد المذهب الواحدي و الثنائي يأتي مذهب آخر من المذاهب التي يقوم طرحها في تفسير نظرية الوجود انطلاقا من التـعدد حيث أن العالم في وجوده و تكونه مليء بالكثرة و التـعدد و في هذا الصدد يقول "وليام جيمس" : إن العالم المتكثر أشبه ما يكون بجمهورية فيدرالية و هو بذلك ليس ملكية أو إمبراطورية مطلقة " و قد تصور في

[1] - أنيس منصور، الكبار يضحكون أيضا، لمرجع سابق، ص، 93.

الفكر الفلسفي القديم في مرحلته ما قبل السقراطية وهو " أنباذوقليدس" أن الأصل في الموجودات يعود إلى عناصر أربعة مجتمعة فيما بينها و هي الماء ، التراب ، الهواء ، النار ، بالإضافة إلى جوهرين لا ماديين و هما الحب و الكره .

و مذهب الكثرة و التعدد واضح بصورة أدق عند فلاسفة المدرسة الذرية " لوقيبوس ،ديمقريطيس ، أبيقور "و يتلخص هذا المذهب في أن أساس العالم المحسوس قد ظهر نتيجة لاجتماع الذرات .

و في امتد هذا التفسير الأنطولوجي في الفلسفة الحديثة مع ليبتنز حيث فسر طبيعة الوجود تفسيرا ديناميكيا و أرجعه بذلك إلى الذرات الروحية.

استنتاج:

يمكن القول في الأخير أن الإجابة عن سؤال الوجود ليس بالأمر السهل البتة، لأنه يتطلب الكثير من الوقت والجهد والاطلاع، وبناءا على ذلك يكفي أن نبين بأنه حتى ولئن كانت هناك ميتافيزيقا جديدة فإنها لن تكون وثوقية وادعائية مثل الميتافيزيقا الكلاسيكية، لهذا ند ان كل من نيتشه وهيدغر على سبيل المثال قد فكرا تفكيرا بريئا عن كل موثوقية ويقينية جاهزة وناجزة، ويعد طرحهما درسا يمكن أن نتعلمه في فهم الوجود. كما نج من جهة أخرى بان المسألة عميقة عمق الفلسفة ذاتها، والوصول إلى كنه حقيقتها تتطلب القبول بكل أوجه النقد الموجهة لكل طرح سعى إلى توضيح المعنى المطلق لصحة الإجابة.

المحاضرة الحادية عشر: تيار التحليل النفسي

تمهيد

تميزت مرحلة نهاية العصور الوسطى و بدايات العصر الحديث بتعدد المعارف و اختلاف مشاربها مما استوجب إحداث تصنيف جديد للعلوم نتج بموجبه تفعيل خاصية التخصيص التي تهدف إلى الدقة

و الموضوعية في أي علم من العلوم و كان ذلك على حساب الفلسفة الأم التي كانت حاضنة لجميع العلوم بمختلف تصنيفاتها و لتكون المعرفة أكثر دقة و أقرب إلى الحقيقة توسعت دائرة العلوم و تطورها أين انفصلت العلوم جميعا عن الفلسفة و أصبح لكل علم من العلوم موضوعه و مجاله الخاص به .

إلا أن هذا الانفصال لم يكن كفيلا و كافيا لتحقيق الأهداف المطلوبة إذا ما تم وضعه ضمن السياق الصحيح و هو ما تم فعليا من خلال التأسيس للأنساق و التيارات الفلسفية الكبرى التي تسير وفقها هذه العلوم و لا نبالغ إذا قلنا أن من أبرز ما تميز به العصر الحديث على مختلف الأصعدة هو التيارات الفكرية الكبرى التي حاولت مسايرة البنية الشكلية و المنطقية لهذه العلوم لأجل وضعها تحت الشروط الصحيحة التي يتطلبها العلم أو بالأحرى التي تعطيها صفة العلمية و بين جنبات هذه الصفحات سنخط لأهم و أبرز التيارات الفكرية وفق التخطيط التالي :

التحليل النفسي :

تدخل النظرية ضمن أهم و أكبر التيارات الفكرية و الفلسفية التي ذاع صيتها خاصة في الفترة المعاصرة و تدخل ضمن السياق الذي تنتظم داخله الدراسات النفسية بمعنى أن التحليل النفسي كنظرية و إن كانت لها تاريخيا خلفية فلسفية إلا أن السياق الوظيفي لها

يرتبط بحل المشكلات و السلوكيات النفسية التي يستعصى حلها و سنحاول فيما هو ات أن نعرف كل التفاصيل عن نظرية التحليل النفسي .

1 - التحديد المفاهيمي :

نظريـــة التحليل النفسي بديهيا كغيره من أي مصطلح أو نظرية له تعريف يوضح و يبين لبسه ، كما له أيضا بدايات تاريخية تمخض عنها مسار هذه النظرية ، أما بالنسبة للتعريف فإن نظرية التحليل النفسي يرتبط اسمها بالفيلسوف و عالم النفس النمساوي سيغموند فرويد الذي ولد في مدينة فريبورغ عام 1856 و توفي سنة 1939 ، إذ أنه أحدث ثـورة علمية في علم النفس عموما و الذين كانت بدايته منصبة على دراسة شـــعور الإنسان السوي فقط ، أما فرويد كان له رأي آخر و ذلك حين طرح نظريته هذه و التي قدمت نموذجا جديدا يمكن من خلال دراسة سلوك الإنسان حيث ركز فرويد على عـدم عقلانية الإنسان و على تأثير الدوافع و الحوافز غير المعروفة لدى الإنسان على سلوكه لذلك فإنها تكون خارجـة عن سيطرته ، [1] و في هذا السياق فإن فرويد قد أحدث ثـورة في العلاجـات النـفسية الحديثة من خـلال نظريته في التحليل النفسي التي أخذت من الجانب الآخر للحياة النفسية و هو اللاشـعور و المرتبط بما لا ندركه و لا نعرفه من تصرفاتنا و منها النسيان و زلات القلم و اللسان ، إضـافة إلى تلك المكبوتات الدفينة في سـاحة اللاشعور و التي قد تتطور في بعد إلى أمراض نفسية مثل القلق و الاكتئاب مما ينتج عنه مضاعفات بظهور أمراض جسدية خطيرة على الإنسان و بالتالي فإن نظرية التحليل النفسي عند فرويد استطاعت الكشف عن علاج جديد يمكن المختصين في الدراسات النفسية من علاج الكثير من الحالات النفسية ، عكس ما كان سائدا في السابق عندما كانت المدارس الكلاسيكية في علم النفس تعتمد

[1] - علي إسماعيل علي ، نظرية التحليل النفسي و اتجاهاته الحديثة في خدمة الفرد ، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،مصـر ، د ط ،1995 ،ص ،11 .

خـصوصا على المدرسة الدكارتية التي كان في اعتقادها أن الحياة النفسية لها جانب واحد و هو الشـعور و لا يوجد جانب لا شعوري .

على أساس ذلك ظهرت نظرية التحليل النفسي و أضفت بعدا جديدا للحياة النفسية تضمن مختلف أنـواع السـلوك الأخـرى الغريبة أو المتعذر تحليلها و تفسيرها مثـل أنواع السـلوك الأخـرى المرتبطة بالاضطراب العقلي و بخاصة الهيستيريا كما قدمت هذه النظرية مدخـلا جديدا من العلاج و هو العـلاج النفسي لمرضى العـقول عن طريق استخدام الوسائل السيكولوجية .[2]

بذلك كانت نظرية التحليل النفسي أو كما تسمى بطريقة العلاج النفسي قد أعطت بعدا جديدا لمعالجة الأمـراض النفسية بعيدا عـن العلاجات التقليدية التي دائما ما كانت نتائجها غير دقيقة و لم تستطيع التحكم الكلي في الأمـراض النفسية خـاصة في ظل الاعتقاد السائد لمدة عقود من الزمن أن النفس لها جانب واحد و هو الشـعور و بالتالي نفي للحياة اللاشعورية إلى أن جاء فرويد و غير كثيرا من مفاهيم الحياة النفسية . و في ذلك قال سيغموند فرويد " النفس البشرية تشبه جـبلا جليديا لا يظهر منه للعين سـوى قـمة صـغيرة هي الشـعور بينما يبقى الجـزء الأكـبر غارقا في أعماق اللاشـعور هنالك في الظلال تكمن الرغبات و المخـاوف و الصراعات الطفولية التي تمارس سلطتها على الإنسان دون وعي منه"[1] ، و بالتالي فإن نظرية التحليل النفسي أخذت من المكبوتات و الغرائز اللاشعورية و كل ما هو خارج دائرة الوعي مستندا لتأسيسها وفق مسار التاريخ و هو ما نحاوله توضيحه في العنصـر الموالي .

[2] - المرجع نفسه ، ص ،12 .

[1] - القشاعدةبديع ، مدارس علم النفس ، مركز السيكولوجي للنشر الإلكتروني ، د ط ،2025 ،ص ،82 .

نظرية التحليل النفسي قـــراءة في المسار التاريخي :

إن نظرية التحليل النفسي كغيرها من التيارات الفكرية المعاصـــرة ، أو بالأحـــرى أن أي نظرية أو فـــكرة لا يمكن خروجها عن مسار التاريخ ، فكل ابداعات الإنسان إلا و لها مســـار تاريخي ولدت عليه و الحال نفسه يقال و يحمل على نـــظرية التـــحليل النفسي فلها أيضا مسار تاريخي بدأت من خلاله و انتهت إلى ما هي عليه الآن و عليه يذكر لنا التاريخ أن الانطلاقة الأولى التي ولدت منها نظرية التحليل النفسي كانت من فرويد ذاته و طبيعته و مسارات حياته حيث بدأت القصة عندما كان السيغموند مهتما بالفيزيولوجيا

و علم التشريح العصبي مما مكنه من العمل في معمل للتشريح الفيزيولوجي و هو ما يزال طالبا و ذلك في معمل أرنست بروك الفيسيولوجي و حين اشتغاله بمستشفى فيينا الرئيسي تعرف هنالك على جوزيف برير أحد الأطباء المشهورين في فيينا أين كـــان يستعمل الإيحـــاء التنويمي لمرضاه و الذي اكتشف أثناء معالجته لمريضة مصـــابة بمرض الهيستيريا أن المريضة ذكـرت أثناء نومها أحـداث ماضية لم تستطيع تذكرها أثناء اليـقظة و هنا رأى برويـر أن ذكـــر المريضـــة لهذه العـواطف و الانفعالات كـان له الأثـــر الكـبير في معالجة المريضة و قد سمى هذه العملية بالعلاج بالتفريغ و هي الطريقة التي أعجب بها سيغموند فرويد[2] ، و على هذا الأسـاس فإن الانطلاقـــة الأولى لنظرية التحليل النفسي كانت من الأمراض العصابية ، و تحديدا مرض الهيستيريا و من ثمة فإن فرويد يشيد و يتفاضل على الطبيب بروير في أنه الاستلهام الأول الذي من خلال رسم المعالم الأولى لنظرية التحليل النفسي التي تجـعل من الانفعالات

و المكبوتات غير الواعية منطلقا لها ، و مواصلة لذلك جاءت أخبار و معلومات لفرويد تحكي عن شـــهرة احد الأطباء الفرنسيين الأكثـــر شهرة و كان ذلك الطبيب هو شـــاركو

[2] - سيغموند فرويد ، الموجز في التحليل النفسي ،تر :سامي محمود علي و آخرون ،مهرجان القراءة للجميع ، للطفل للشباب للأسـرة ، د ط ،2000 ،ص ،10 .

و على إثـــر ذلك سافر سيغموند فرويد إلى بـاريس و درس مع شاركو قرابة سنة و قد تأثـــر باستخدام الأخير لطريقة التنويم المغناطيسي في العلاج لمرض الهيستريا كما أعجب بملاحظة قال بها شاركو وهي أنه في كـــل أحوال الأمـــراض العصبية يوجد اضطراب في حياة الفرد الجنسية دائما و أبدا ، و هنا كذلك كان تأثـــر فرويد و صرح قائلا " لئن صح ذلك فلم لا يستعين شـاركو بهذه الحقيقة في نظريته و علاجـــه و قد ظل هذا السؤال في ذهن فرويد و آتى أكـــله فيما بـــعد . [1]

وفق ذلك زاد فرويد من تكثيف أبحاثه لأجل إثبات نجاح نظريته و إثبات عمليتها من بين النظريات الأخـــرى ،و كذا إثبات نجاعة هذه النظرية في علاج الكثير من الأمراض النفسية التي كانت في السابق تعتمد على طريقة العلاج الطبي التقليدي .

إلى ذلك عاد فرويد من فرنسا إلى فيينا مجددا اتصاله بروير الذي كان الملهم الأول لنظرية فرويد في التحليل النفسي حيث كان هنالك تواصل بينهما في مواصلة أبحاثهما عن أسباب الهيستريا و قد تعزز ذلك بميلاد كتاب تحت عـــنوان " دراسات في الهيستريا " و الذي كان قد أحدث تحولا في العلاجات النفسية للأمراض العقلية و العصبية فقد احتوى على البذور الأولى التي نبتت من خلالها نظرية التحليل النفسي و قد أشار في هـــذا الكـتاب إلى الدور الذي تلعبه الحياة العاطفية في الصحة العقلية الشعورية

و بين الحالات العقلية اللاشـــعورية ،[2]و هنا كان التركيز على المكبوتات الدفينة التي قد تخرجها الاضطرابات إلى سـاحة الشعور و التي تشكل خطرا على حياة الفرد و لكن باستخدام طريقة التنويم أو التفريغ التي اعتمدها فرويد و شريكه ساهمت بشكل كبير في التنفيس و الترويج على كثير من الحالات المستعصية التي يصعب علاجها .

[1]- روبرت رودرث ، مدارس عـلم النفس المتعاصـــر ،تر : الدكتور كمال دسوقي ، دار النهضة العربية للطباعة و النـــشر ،بيروت ،لبنان ، د ط ،1981 ،ص ،ص ، 216 - 217 .

[2] - سيغموند فرويد ، الموجز في التحليل النفسي ،تر : سامي محمود علي و آخرون مرجعسابق ،ص ،11 .

إن الاتفاق و التفاهم بين اشهر أطباء فيينا و فرويد لكن سـرعان ما نشب خلاف بينهما حـول بعض الافتراضات التي لم يقبل كل منهما رأي الأخر و تعلق الأمر بتفسير الأسباب المسببة للهيستيريا فحاولا بروير تفسير ذلك من خلال حالات شـبه تنويمية ينفذ أثـرها إلى الشـعور أما فرويد فكان يرى أن الانحلال العقلي يحدث نتيجة صراع الميول و تصادم الرغبات و اعتبر أن الأعراض الهيستيرية أعراضا دفاعية نشأت تحت ضغط الدوافـع المكبوتة في اللاشـعور التي تـحاول التنفيس عن نفسها بشتى الطـرق .[3] وراء هذا الخـلاف الذي ركـز فيه فرويد على اللاشعور باعتباره المسؤول عن الكثير من الاضطرابات النفسية ، و ذهب أكثـر من ذلك إلى اعتبار الغرائر الجنسية دافعا لحدوث الأعراض الهستيرية و بعدها انفرد فرويد بنفسه وراح يواصل أبحاثه من أجـل تطوير نظريته الجديدة و اثباتها بكل الوسائل و الطرق العلمية إلى أن شق لنفسه طريق النجاح و صنع لنفسه اسما بين كبار الفلاسفة

و العلماء المؤثرين عالميا و ذلك من خلال نظريته التي نالت شهرة واسعة عبر توظيفها في عـدة سياقات و حينها زاد طموحه إلى أن وصل إلى مراده و هو التأسيس لنظرية علمية لها مبادئها .

كانت تلك اطلالة تاريخية لنظرية شقت طريقها بين عقبات شكلت و رسمت نظرية علمية لها مبادئ و منطلقات تستند عليها فما هي هذه المنطلقات و المبادئ .

التحليل النفسي ، المنطلقات و المبـادئ :

استند سيغموند فرويد مجموعـة من المنطلقات و المبادئ و التي من خـلالها أرسى دعائم نظريته و أثبت من خلالها علمية نظريته و يمكن حصر ذلك في النقاط التالية :

[3] - المرجع نفسه ، ص ،13 .

1 – اللاشعورو التكوين المبكر للسلوك :

أعطى سيغموند فرويد اهتماما بالغا بمرحلة الطفولة المبكرة حيث اعتبر أنها المرحلة التي تتكون فيها جميع الدوافع اللاشعورية خصوصا تلك المرتبطة بالكبت و الصراع الجنسي و كان يرى أن الرغبات الجنسية المكبوتة تشكل المحرك الرئيسي للاضطرابات النفسية و هو ما سماه بالليبدو أو الطاقة النفسية الجنسية .[1]

جاءت قراءة فرويد و تركيزه على العنصر على اعتبار أن الطفولة وعاء تختزن فيه جميع الدوافع

و الرغبات أين يكون ذلك الشخص في مرحلة البناء للشخصية و خلال هذه الفترة من البناء التكويني ترتطم الأحلام و الدوافعو الرغبات الجياشة الاندفاعية ، خاصة تلك الجنسية التي يركز عليها فرويد و يعجل منها دافعا رئيسيا و هنا قد يصطدم هذا الشخص بواقع يحول دون تحقيق تلك الرغبات و التي تدفن حينها في ساحة اللاشعور .

من التنويم المغناطيسي إلى التداعي الحر :

في المنطلق استخدم متأثرا بالطبيب بروير منهج التنويم المغناطيسي على المرضى المصابين بمختلف الاضطرابات العقلية إلا أن هذا التنويم أبان عن مجموعة من العيوب أثبتت عدم نجاحه مما جعل مؤسس التحليل النفسي إلى التفكير في طريقة مثلى أكثر نجاعة و هي التداعي الحر و فحوى هذا المنهج أو الأسلوب هو جلوس المريض على أريكة في وضع استرخاء تام و فيها يتحدث بكل حرية دون قيود و الهدف منها الوصول إلى الذكريات المكبوتة المرتبطة بالألم و الذنب و الرغبة .[1]

[1] - القشاعدةبديع ، مدارس علم النفس ، مركز السيكولوجي للنشر الإلكتروني ، مرجع سابق ، ص 82 .

[1] - مرجع نفسه ، ص ،83 .

إن التداعي الحر الذي جاء به فرويد أسلوب يتيح للمصاب بالتعبير عن كل رغباته المكبوتة بكل حرية و دون أي قـــيود و من خلاله يكشف فرويد الكثير من الأعراض التي على أساسها يتم معالجة المريض .

و في هذا الأسلوب لاحظ فرويد أن المرضى يتوقفون فجأة عن الكلام عن وجود ذكـــرى معينة و هنا استنتج فرويد عن وجود كبت قوي و هنا استنتج فرويد أن المرض النفسي لا يتكون من فراغ بل من صـــراع داخلي بين الرغبة و الحظر وبين الهوى و الواجب .[2]

في هـــذا الســـياق استنتج فرويد حـــدوث الكثير من الأمراض النفسية في مرحلة الطفولة نتيجة التعارض بين الرغبات و الطموحات و الواجبات و الحتمية و كذا ظروف الحياة المختلفة .

[2] - المرجع نفسه ، ص ،84.

المحاضرة الثانية عشر: التيار السلوكي

النـــظرية الســـلوكيـــة :

في خـــضم التـحولات التي أحدثها التـــطور العـــلمي بفعل تطبيق المنهج التجريبي ، أين ارادت العـــلوم الإنسانية مسايرة نفس النهج لأجـــل الكشف عن أســرار الإنسان و ما يختلج داخـــل النفس البـشرية

و على أساس ما حققته العلوم التجريبية حاولت المدرسة السلوكية التي أحدثت ثـــورة علمية في علم النفس المـعاصـــــر بعدما كان الاعتماد سابقا في محاولة فهم السلوك يرتبط بالشـعور و اللاشـــعور و في يلي سنحاول الإبحار في أعماق النظرية السلوكية

التـحديد المفاهيمي :

النظرية السـلوكية هي أحد التيارات المـعاصـــرة اجرائيا و وظيفيا تدخل ضمن سياق علم النفس إذ أنها من النظريات التي تم الاعتماد عليها في فهم طبيعة السلوك الإنساني و يرتبط اسم النظرية السـلوكية بالفيلسوف و عالم النفس جون واطسون ، و على عكس النظرية البنائية التي اعتمدت في محاولتها لفهم السلوك على الشعور الذاتي و تحليله فإن ذلك في رأي جون واطسون غير قابل للملاحظة و بالتالي رأي أنه لا بد من منهج واضح و لذلك قال جون واطسون لا ندرس إلا ما يمكن ملاحظـته و لا نتعرف إلا بما يقاس [1] ، و بذلك كانت المدرســة السـلوكية قد أحـدثت ثـورة في مجال علم النفس و ذلك عندما دخل المنهج التجريبي إلى الدراسات النفسية المعاصـــرة لتكون النتائج أكـــثر دقة و موضوعية ، هذا و سميت المدرسة السلوكية لأنها تعتمد في دراستها عند تفسير و تحـليل النفس الإنسانية انطلاقا من السـلوك العام للشخص عن طريقه ملاحظته ، أي أنها تركز على السلوكيات القابلة للملاحظة ، و لا تهتم بما لا يمكن ملاحظـــته .

[1] - المرجع نفسـه ، ص ،54.

و تعرفأيضا بأنها مجموعة التصورات التي ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية سنة1912 ،و هي ترى بأن المعرفة الحقيقية تتبع من التجربة و التطبيقو تسلم بأنه لا يمكن حدوث أي استجابة و أي تعلم دون حدوث مثير .[2] يتضح جليا هنا أن النظرية السلوكية تحاول الاعتماد على تطبيق المنهج العلمي في دراسة و فهم الظاهرة النفسية و تركيزها أساسا على السلوك على اعتبار أن السلوك يمكن ملاحظته .

المدرسة السلوكية ، المنطلقات المبادئ :

تنطلق المدرسة السـلوكية انطلاقا من الـأسس و المنطـلقاصت التــالية :

1 –الإنــسان و البيئة :

يرى المختصين في الدراسات النفسية أن الشخصية تتدخل في بنيتها عدة عوامل وراثية و دينية في حين أن النظرية السلوكية استندت على عامل البيئة في قراءة و فهم سلوك الإنسان و تفسيرهو ذلك ما قاله واطسون بأن السلوك الإنساني تشكله الخبرات البيئية وحدها و قد لخص ذلك في عباراته الشهيرة " أعطوني إثني عشرة طفلا أصحاء سليمي التكوين و سأضمن لكم تدريب أي منهم ليصبح ما تشاؤون طبيبا محاميا ،فنانا ، سارقا بصرف النظر عن ميوله أو مواهبه "[1]

جعل العوامل البيئية و ما تحمله من تغيرات و انفعالات كمركز ثقل لتفسير و فهم السلوك الإنساني و إخراجه من دائرة التفسير التقليدي الذي كان يعتمد على الغرائر و اللاوعيو الشعور متناسيا العوامل الخارجية التي قد تسهم بشكل كبير في فهم و تفسير طبيعة النفس الإنسانية .

[2] - رهم محمد ، ملاوي الأمين ، أثر نظريتي التعلم السلوكيةو البنائية في المقاربة بالأهداف و الكفاءات ، مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، المجلد 14 ، ع 2 ، جامعة بسكرة ،ص ،293 .

[1]- القشاعدةبديع ، مدارس علم النفس ، مركز السيكولوجي للنشر الإلكتروني ، مرجع سـابق ، ص52 .

منهج النظرية السلوكية و تأثيره :

لم يتوقف هدف النظرية السلوكية في تحديد و فهم السلوك الإنساني في سياقه العام فحسب بل امتد التأثير ليشمل سياقات متعددة لها علاقة و ارتباط بالظاهرة النفسية و من أبرز الجوانب التي تأثرت بالنظرية السلوكية دراسة سلوك الأطفال بما فيهم الرضع إضافة إلى ذلك دراسة سلوك الحيوانات على اعتبار أن السلوك مشترك بين جميع الكائنات .[2] لتشكل بذلك النظرية السلوكية نجاحا واسعا و اشادة لدى المهتمين بالدراسات النفسية خاصة في أنها اهمت بالدرجة الأولى بالسلوك باعتباره الركيزة الأساسية لموضوع الدراسة النفسية و هو الذي تتجذر منه مختلف الممكنات التي قد تؤثر إما سلبا أو إيجابا على النفس الإنسانية .

أهم تطبيقات النظرية السلوكية :

كما ذكرنا آنفا أن النظرية السلوكية كانت تطبيقية بامتياز فهي عارضت الاعتماد على الجانب النظري الذي يستند على الوعي و لذلك فإن الخاصية التي امتازت بها السلوكية و هي التركيز على الجانب التطبيقي في دراسة السلوك سنحاول في هذا العنصر عرض أبرز الجوانب التطبيقية التي تم معالجتها من خلال النظرية السلوكية و هي نظرية التعلم ، هذه الأخيرة تعتبر أهم المشكلات التي انشغل بها مهتمي الدراسات النفسية و رواد النظرية السلوكية قد ربطوا ذلك بالسلوك لوجود علاقة وطيدة بين التعلم

و السلوك بشكل العام و في قراءتنا لذلك فإن النظرية السلوكية في فهمها لنظرية التعلم قد اعتمدت في ذلك على الجوانب التالية :

1 – أجرأة الأهداف التعليمية .

2 –الاشراط باعتباره عملية مقرونة بالمثير و الاستجابة .

[2] - المرجع نفسه ، ص 53 .

3 – التعلم عن طريق المحاولة و الخطأ .

4 – التعزيز الإيجابي أو السلبي تبعا للسلوك الملاحظ .[1]

يعد هنا التعلم و تحسين المستوى من المشكلات التي تم ارجاعها أساس إلى خلل في الجوانب النفسية لهذا جاءت النظرية السلوكية في سياق تطبيقاتها على نظرية التعلم باعتماد أسلوب و منهج أكثـر فاعلية يعتمد على ملاحظة السلوك العام الذي ثم السلوك الخاص الذي يتحدد حسب الموقف الموضع فيه ذلك الشخص و من ثمة يتم تشخيص المشكلة و معالجتها من جذورها و للذكر فإن السلوكية قد اعتمدت على أسلوب المثير و الاستجابة الذي جاء به بافلوف أحد رواد النظرية السلوكية .

النظرية السلوكية و اللغة :

اللغة خاصية إنسانية محضة تتداخل في نشأتها عوامل داخلية و خارجية متباينة كما أن في دارستها و تحديد بنيتها تتباين في دراستها و تحديدها عدة حقول معرفية من بينها علم النفس الذي يشمل و يحتوي عدة نظريات من بينها التي بيننا و هي السلوكية و التي وصل امتدادها إلى اللغة باعتبارها تدخل ضمن تحديد مقومات الشخصية و السلوك بصفة عامة ، فالسلوك هو في حد ذاته فعل أو تصرف يقوم به الإنسان و يريد من خلاله أمرا ما أو إيصال رسالة و ذلك لن يكون إنسان و يريد من خلاله أمرا ما أو إيصال رسالة و ذلك لن يكون إلا بوجود لغة و هذا الأخيرة ساهمت النظرية السلوكية في قسطها من التفسير حولها إذ أنها أي السلوكية تنظر إلى اللغة نظرة سطحية و يقتصر اكتسابها على الربط الميكانيكي بين المثير و الاستجابة و يتم ترسيخه عن طريق التدريب و الثواب و التعزيز المادي و المعنوي من خلال البيئة الاجتماعية و اللغوية [1].

[1]- تومي عبد الرحمان ، الجامع في ديداكتيك اللغة العربية ، المكتبة الأمنية ،الرباط ،المغرب ، د ط ،2018 ،ص ،45 .

[1]- الحسن عبد النوي ، اكتساب اللغة دراسة مقارنة بين النظرية السلوكية و الفطرية ، المركز الجهوي لمهن التربية و التكوين الدارالبيضاء ، السلطات المغربية ، مجلة الخليل في علوم اللسان ،مجلد الأول ، ع 2 ،مارس ،2022 ،ص ، 171 ,

إن اكتساب اللغة و ترسيخها لم يسلم هو الأخر من تطبيقات و أسلوب النظرية السلوكية ، إذ أنها اعتبرت أن اكتساب مهارة اللغة و اتقانها مرتبط أيضا بطبيعة المثير و الاستجابة على حد سواء فمادام هناك مثير تكون هنالك قابلية و استجابة للغة و حينها يتم تحسين اللغة لدى المعلم .

و حسب السلوكيون فإن اكتساب اللغة يكون تبعا للمراحل التالية :

1 – المرحلة الفونولوجية :

حيث تتحول أصوات الطفل من شكلها الطبيعي و العفوي إلى أصوات و فونيمات تحترم سيمات أصوات بيئته اللغوية و يتدخل الراشدون لتعزيز و تصويب السيمات الصوتية الصحيحة دون السيمات الخاطئة .

المرحلة النحوية و الصرفية :

في هذه المرحلة يعمل والدا الطفل على تدعيم القواعد الصرفية و النحوية السليمة مما يسهم في بناء و اكتساب لغة صحيحة صرفيا و نحويا .

المرحلة الدلالية :

في هذه المرحلة يكتسب الطفل معاني الكلمات اعتمادا على تقنية الربط الصحيح بين الدال و المدلولو يعد مبدأ التعميم أساسيا في عملية اكتساب اللغة في النظرية السلوكية .[2]

و من هنا يتضح أن عملية اكتساب اللغة عند الطفل في نظر السلوكيون تعتمد في أساسها على خاصية التقليد و هي مجموع الأصوات التي يتلاقها الطفل من محيطه العائلي و التي يسعها من خلالها إلى التعبير عن حاجياته الحياتية .

[2] - المرجع نفسه ، ص ،172 .

في الأخير كانت هذه أهم القضايا و المشكلات النفسية التي حاولت النظرية السلوكية معالجتها و تشخيصها من خلال جوانبها التطبيقية التي تم الاعتماد عليها .

خاتمة :

في نهاية كلامنا المقتضب عن النظرية السلوكية التي حاولنا من خلال عملنا هذا استنطاق و استظهار دور و أهمية النظرية السلوكية في وضع تحديد و تفسير علمي للسلوك الإنساني ، أين نستطيع من خلال ذلك التفسير التنبؤ بالسلوك و التغيرات التي تحدث ، و من خلال التحليل و العرض لأهم محاور و منطلقات النظرية السلوكية استنتجنا أن هذه النظرية كانت قد أحدثت ثورة في مجال علم النفس أين انتقلنا من علم النفس التقليدي الذي كان يرى و يركز في فهم النفس البشرية انطلاقا من الشعور و عند مجيء النظرية السلوكية أصبح الاعتماد على الملاحظة الفعلية و الملموسة في خطوة إيجابية تعكس مساهمة السلوكيون في تفعيل المنهج التجريبي و عدم حصره في مجالات علوم المادة الجامدة .

المحاضرة الثالثة عشر: التيار البراغماتي

تمهيد

نحاول من خلال هذه المحاضرة التطرق لأهم العناصر التي تميز التيار البراغماتي وكذلك الفلاسفة الذين سعو إلى تأسيسه بناءا على معايير وأسس لها نفس المبتغى لكن من منظور مختلف على حساب التوجه والمنطق، ومن الأسناء الذي اشتهر بع التيار البراغماتي " ويليم جيمس (1842 – 1910)، شارل ساندر بيرس: Charies Sandars Peirce 1839 – 1914م، وكذلك جون ديوي: (1859 – 1952) حيث كانت لهم رؤية مخالفة لما جرء به التيار التجريبي ليس فقط على المستوى المنهجي في البحث والدراسة، بل على الغاية من النتائج المتوصل إليها، حيث اتسمت بالطابع المنفعي الذي لا يؤمن إلا بالجانب العملي، وأن الفكرة إذا ما لم تحقق نتيجة أو فكرة يستفيد منها الإنسان والمجتمع لا تجدر بنا الإشارة إليها أنها فكرة حقيقية، ومن ثم فالواقع هو الفيصل في حقيقة الحكم على أي إنتاج فكري. كما سنعرض أهم المدارس الفكرية التي كانت لها صلة بالبراغماتية ناهيك عن بعض التعريفات التي تصب في نفس السياق.

نبذة عن التيار البراغماتي:

يمثل التيار البراغماتي المذهب الذي نشأ تاريخيا مجاوزا للتيار التجريبي، ذلك بغرض الوعد بحل كل المشكلات الفلسفية والفكرية التي لطالما سعت التيارات الأخرى إلى حلها إلا أنها باءت بالفشل، سواء تعلق الأمر بالمعرفة او الأخلاق والدين، الى غيرها المن المجالات الأخرى، وإذا كانت البراغماتية تعرض نفسها على الشكل التجريبي إلا أنها من جهة أخرى تعبر بإلحاح على انتقادها والسعي إلى تصحيحها وإعادة بلورة المفهوم الصحيح للبحث العلمي وكيفية الوصول إلى المعرفة العلمية والتحقق من صدقها.

لقد "ازدهر التيار البراغماتي على الخصوص في الولايات المتحدة الأمريكية وفي انجلترا، ولكن لم يقتصر ظهوره على هذين البلدين، فقد وجد من يمثله، في حدود عام 1900م في ألمانيا، حيث ظهر عند أصحاب المذهب التجريبي النقدي كارل ماكس ويلينين، جيورج سيمل، وهانز فايهنجر (1852 – 1933)، كما أن اتجاه الوضعية قريب جدا من الاتجاه البراغماتي، أما في فرنسا فإن عددا من ممثلي اتجاه "نقد العلم"، وعلى الخصوص أبل ري، يشاركون البراغماتية في أكثر من نقطة التقاء[126]

ولتوضيح المعالم الكبرى التي تتحلى بها البراغماتية علينا أن نستعرض النقاط الآتية:

1-تعريف البراغماتية:

لغة:

اسم مشتق من اللفظ اليوناني pragma ومعناه العمل، وهي مذهب فلسفي يقرر ان العقل لا يبلغ غايته إلا إذا قاد صاحبه إلى العمل الناجح فالفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة أي الفكرة التي تحققها التجربة، فكل ما يتحقق بالفعل فهو حق ولا يقاس صدق القضية إلا بنتائجها العملية"[127]

اصطلاحا:

لقد تعددت تعاريف البراغماتية بتعدد الاتجاهات والرؤى الفكرية، ويتجلى ذلك من خلال ما يلي :

- شارل ساندر بيرس: Charies Sandars Peirce 1839 – 1914م

يرى المفكر الألماني بيرس أن كل اصطلاح حق إذا كان له مدلول، والمدلول له وجود حقيق إذا كان يثمر بعض النتائج في هذه الدنيا.

126 .م، بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوربا، شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر، 1992، ص 193

127 جميل صليبيا، المعجم الفلسفي، دار اللبناني، بيروت، لبنان، الجزء الأول، 1982، ص203

وفي موضع آخر يوجزها لنا ويليم جيمس بقوله: "إذا ما قبلنا فكرة ما أو معتقد على أنه حقيقة، فلنسأل: ما هو الفرق الملموس الذي ينتج عنه في الحياة التي نعيشها؟ وما التجارب التي تنتج عنه بدل التي تنتج لو كان الاعتقاد باطلا؟، وباختصار ما القيمة النقدية لهذه الحقيقة تجريبيا

من جهة أخرى نجد جون لوك في قوله يعرف البراغماتية هي: أن تستخدم النتائج على أنها اختبارات لا بد منها للدلالة على صدق القضايا، على شرط أن تتناول هذه النتائج من حيث عمليات يمكن إجراؤها، ومن حيث هي وسائل تؤدي غلى حل المشكلة الخاصة التي قد استدعت تلك الإجراءات[128]

الأفكار التي جاءت بها البراغماتية:

- إخضاع الفكرة إلى التجربة العلمية:

تسعى البراغماتية إلى إنكار التأمل العقلي المحض الذي يتقدم بالأفكار متجاوزا لمبد أ التحقق على ارض الواقع وذلك لعدة دوافع من بينها صعوبة الخلاص إلى الحقيقة المبتغاه مما يؤدي كذلك الاجتهاد من دون منفعة، لذا نجدها "تشارك المذهب التجريبي، في الأخذ بالتجربة كمصدر لكل معرفة، وكمعيار للحقيقة في آن واحد، فكل ما نعرفه، نعرفه من خلال التجربة وحدها والتجربة وحدها أيضا هي التي تمكننا من التحقق من صدق أفكارنا وأحكامنا، مما يعني عند البراغماتيين أنه: لا يوجد منهج لا يعتمد التجربة، وكل منهج يعود إليها، وإن الكيفية الوحيدة لتنمية وتوسيع معرفتنا هي أن لا نترك التجربة"[129] إذن يمكن القول أن البراغماتية هي الصورة الحديثة لمصطلح التجربة القديم ولاعتماد عليها يأتي أساسا بالركون إلى العالم الخارجي. الذي يمثل الفضاء العام الذي تنبثق فيه الأفكار العقلية.

[128] للمزيد من الاطلاع أنظر: الأضر غريسي، التجربة الحقيقية بين التجريبيين والبراغماتيين، جامعة دباغين، سطيف، دس، ص68

[129] Hottois Gilbert. De La Renaissance a la Postinodzenite : Une hisoire de la philosophie moderne et contemporaine. Editions De Boeck Universite. 3tirage. 2tirage. Bruxelles. 2005. P266

- معيار المنفعة:

تتسم البراغماتية بخاصية المنفعة وذلك لضرورة أهميتها في الواقع المعاش أو علاقتها بالحيز الذي ينتمي إليه البشر، حيث لا يطور هذا الأخير أو ينمو على طريقة صحيحة إلا إذا كانت أفكاره وما يمليه عليه العقل يأتيه بالفائدة، "بل يأخذون بمعيار المنفعة والرضا والنجاح العملي، ففيه تكمن "القيمة النقدية" لافكارنا، بتعبير وليم جيمس، فالفكرة الجديرة بتسمية فكرة، هي "خطة عمل"، وخطة عمل لا توصف بالصدق أو الكذب، بل بنتائجها الملموسة، من النجاح أو الفشل، فكل ما يحقق النجاح العملي، أو كل ما هو نافع ومفيد فهو محق."[130] وعلى هذا الأساس تنظر البراغماتية على النتيجة أكثر مما تركز على مدى التطابق بين الأفكار أو عكس ذلك.

- الموضوعية في التجربة:

يستند التجربة إزاء البراغاتيين على العامل الموضوعي في مقابل كل ينظر إليه نظرة أو يتعامل معه تعاملا ذاتيا خاصة أثناء عمليات التجريب، لأن "الموضوعية هي التي تجعل الباحث نزيها ومحايدا، وتجعل المعرفة العلمية معرفة من دون عارف، فالموضوعية هي ركن التجربة العلمية مثلما هي ركن الروح العلمية التي يلتزمها الباحث في كل مراحل البحث[131]

-أسبقية العملي على النظري:

تتميز البراغماتية بطابعها العملي في مقابل الجانب النظري الذي هو وليده في هذا السياق بحيث أن "كل نظري لا يخدم العمل لا مكان له في الفلسفة البراغماتية، والفكرة التي لا تخدم

[130] الأضر غريسي، التجربة الحقيقية بين التجريبيين والبراغماتيين، مرجع سابق، ص 54
[131] المرجع نفسه ص65.

العمل والحياة والتكيف، لا تستحق تسمية الفكرة، ولهذا دعا ساندريس بيرس الفلسفة والرياضيات إلى الكف عن الترف العالي، وأن تتخذا صورة عملية"[132]

- القطيعة مع الماضي:

من مميزات البحث العلمي لدى أنصار النزعية البراغماتية أنه يتجاهل كل ما هو ماض، والإقبال نحو المستقبل، و بعبارة أخرى المنطلق هو الحاضر نحو المستقبل دون الرجوع إلى الماضي، وبالتالي عدم البحث عن المراحل التي تم تكوين الأفكار فيها بل الخوض في البحث عن المستقبل، وعليه البراغماتي يدير ظهره للماضي ولكل الأفكار والتجريدات السابقة حيث يركز أساسا على العمل والأداء ولقوة التي تلهمه التنبؤ بما هو أنسب وأفضل.

- البراغماتية لا ترعي إلى المصادر التي نشأت منها الأفكار والمعلومات

- النتيجة التي تمتنا بفائدة الهي التي تحيلنا الى تكوين الفكرة من خلالها

- العقل البشري يمثل الوسيط الذي يربط بين الفكرة والواقع الذي تجسد فيه تلك الفكرة

- المطلقية في القوانين والمفاهيم والأفكار أمر غير واقعي، "كلها قابلة للتعديل والتغيير وكذلك الرفض والتجاوز"

- الرؤية إلى الدين بما يدم الفرد وبما تنعكس عنه من فوائد تجاه المجتمع

- الأفكار والرؤى المختلفة لا بمثل غير الوسيلة التي يعتمد عليها الإنسان في حياته اليومية ومن خلال التجارب التي يقوم بها للبلوغ إلى الهدف المرجو

[132] شنيدر، تاري الفلسفة الامريكية، تر: فتحي الشنيطي، مكتبة النهضة المصرية، دط، 1964، ص111

أبرز نماذج التيار البراغماتي:

شارل ساندر بيرس: Charies Sandars Peirce 1839 – 1914م

تسعى فلسفة بيرس إلى إبراز وتوضيح كلمة "براغما" على أنه الفعل الذي يهدف لتحقيق هدف معين، ولا يكمن أي انوجاد للمعرفة من دون قصد. "فالمعرفة فاعلية يحركها فينا حاجة داخلية لها، تهدف حسب "بيرس" إلى الفهم والتقييم المنطقي الذي يؤدي بأفكارنا لان تكون واضحة وضوح الرياضيات والمنطق ، وهو الذي تخرج من "هارفرد" بالرياضيات والعلوم، لذلك أصر على أننا كي نفهم مصطلحا ما بصورة واضحة، يجب أن نسأل أنفسنا عن الفرق الذي يمكنه ان يحدثه فهم هذا المصطلح، في حل او تقييم مشاكلنا الشخصية مع ما نعرف، وهذا هو الشيء الذي يشكل معنى هذا المصطلح ... وما البراغماتية بهذا المعنى عند "بيرس" إلا منهج تأكيد او التأكد من المعاني المطروحة .. فالبراغمتية هي نظرية القصدية أو المعنى بهذا المعنى"[133] لذا يمكن القول بأن بيرس يجمع بين الذات العارفة وموضوع المعرفة حتى يتسنى التكامل الذي من أجله يبحث الإنسان ليس فقط على حساب الأفعال التي نقم بها، بل الأمر يتعلق بالأثر الذي يوقعه هذه الأفعال على غرار المنفعة التي تترب من وراء كل ذلك، وبتوضيح آخر "إن المعرفة مشاركة في الشيء عبر الولوج به بالتأمل وتصور ذاتنا أو جزء منها فيه، ولكي نهتم بمعرفة أي شيء برأي "بيرس" يجب أن يكون له صلة ببقائنا، وصلة مفيدة، على أن كل إنسان هو الذي يضع سلم هذه الأولويات"[134]

ويليام جيمس: (1842 – 1910)

إن الفكرة الجوهرية في "مبدأ فلسفته هو رد فعل معارض للمثالية التي قدمها كل من برادلي والفيلسوف المثالي الأمريكي الكبير جوزبارويس (1800 – 1912)، كما بدأت من جهة أخرى بمهاجمة المذهب الواحدي والحتمية العلمية واستخدمت في هذا الصدد تيار "نقد العلم

[133] هاني يحي نصري، دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة، المؤسسة الجامعية للدراسات والمنشورات، بيروت، ط1، 2002، ص342
[134] المرجع نفسه، ص344

وطورته"[135] كما يسعى جيمس إلى إبراز فكرة أن العالم لا يتصف بالكمال المطلق أو النهائي كما يزعمون الآخرون من جهة وأنه لا يحتوي على جواهر ثابتة، إنما الامر يتعلق بالصيرورة الدائمة التي تميزه، كل هذا يندرج ضمن السياق النقدي الذي أتى به تجاه أنصار التيار العقلاني، الذي يتجلى من خلال إنكار التعرض بين الذات والموضوع وذلك للوقوف على فكرة إمكان الموجودات.

ومن " أشهر ما تقدم به ويليام جيمس من مذاهب هو البراغماتية، وهي التي ترى أن الفكرة تكون صحيحة حين تؤدي إلى إدراك موضوعها، وأن القضية تكون تكون صحيحة حينما تؤدي إلى نتائج نافعة إذا ما نحن قبلناها، وحين تثبت أنها قابلة للعمل، وقد استخدم جيمس للتعبير عن هذا التحقق العمل كلمة "Cash" (النقد المحدود)، وقد أساء كثيرون فهم المقود بها، أما المنفعة فإن وليم جيمس لا يقصد بها إشباع الحاجات المادية للفرد وحدها، بل يقصد كذلك كل ما يساهم في تألق حياة الإنسان والمجتمع[136]

جون ديوي: (1859 – 1952)

"يتجه باهتمامه كله ناحية العلوم الطبيعية، وهو يأخذ بالمذهب السلوكي الذي قدمه واطسن، وهو المذهب الذي يقول إن العقل م هو إلا "ما يفعله الجسم"ن وانتهى ديوي إلى أنه لا توجد معرفة حقيقية خارج المعرفة التي ينتجها منهج العلوم الطبيعية، وإذا كان المفكرون في العصور السابقة التي لم تتوصل بعد إلى التكنولوجيا التي عرفها العصر الأخير، إذا كانوا يبحثون عن أسباب الأعمال خارج نطاق التجربة"، فإن ذلك غير ممكن اليوم، وينبغي رفض كل الأفكار التي تتعالى على الطبيعة في هذا العصر المتقدم والاتجاه بالكلية إلىّ الخبرة"[137]. ومن جهة أخرى نجد أن جون ديوي ومدى تأثره بالبيئة الاجتماعية التي كانت تسود أمريكا واحدة من الدوافع التي جعلته يعكف على الاتجاه البراغماتي والاستناد إلى

[135] إ.م، بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوربا، شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر، 1992، ص 195
[136] المرجع نفسه، ص196.
[137] المرجع نفسه، ص99.

المذهب العملي الذي كان ذات طابع مادي، حيث لا تقاس الأفكار و المعطيات المعرفية إلا وفق هذا المبدأ" النفعية" وكل ما ينعكس على المجتمع بالنمو والتطور.

ومن ناحية أخرى يرى جون ديوي أن السبيل الذي يعتمده على الوصول إلى مرحلة التطور لا يتحقق إلا استحضرنا عامل التربية التي تعد الركيزة الأساسية والمهمة في تحقيق هذا المبتغى، وعليه وجب على الفرد الإبقاء والحفاظ على عاداته وتقاليده التي يتحلى بها مجتمعه كما يعمل على ايجاد مناهج علمية يستطيع من خلالها التوفيق بينه وبين بيئته التي تحيطه، ذلك للنهوض بالمنظومة التربوية للمجتمع الأمريكي وكذلك الأوروبي.

- المدارس ذات الصلة بالبراغماتية:

المدرسة الجدلية:

تعد المدرسة الجدلية من المدارس التي لها صلة بالتيار البرغماتي، بحيث يكمن أثرها في التصدي البالغ لمطلقية المنطق. ومن الممثلين الأوائل للمدرسة الجدلية "فردنان جونست"، وكذلك فيلسوف العلم الملقب ب: "جاستن باشلار" . فعلى الصعيد المعرفي يمكن القول أن يرى أن " كل معرفة إنسانية هي معرفة جدلية، ويعني بذلك إنها ينبغي أن تكتفي بفلسفات وبقواعد مؤقتة، تقوم على أساس الوعي الجماعي الحي للباحثين في عصر ما. فلا يوجد هناك معيار مطلق للحقيقة. وينتج عن هذا أنه لا ينبغي أن نقبل بصحة قضايا او قواعد أو نظريات إلا طالما كانت نافعة لحركة العلم[138] هذا إن دل على شيء فإنما يدل على عدم استياء رواد المدارس الجدلية على الجهة البراغماتية ولعل أكبر دليل على ذلك هو تصريح رائد القطيعة الابستمولوجية "غاستون باشلار و"جون ديوي" في هذا السياق بحيث يعبرون عن عدم استيائهم لفكرة المنفعة والإلحاح على الجانب العملي التي أتت به البراغماتية ، كما

[138] إ.م، بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوربا، مرجع سابق، ص200، ص201

يبدوا أنهم يشبهون الوضعية المنطقية في اعتبار منهج العلوم الاستدلالية المنهج الوحيد القادر على إنتاج المعرفة

"ولا يقبل الجدليون اللوم الموجه إليهم بان موقفهم نسبي، ويصرحون بأنهم لا يقولون بأن الحقيقة نسبية، وإنما يقولون وحسب انه لا ينبغي أن نقبل أن يكون شيء قيمة مطلقة"[139]

لذا يمكن القول بأن المدرسة الجدلية شكلت نقطة التقاء التوجهات الفكرية التي انجر من ورائها الإدلاء بمختلف الرؤى الرؤى التي فسحت مجالا للتعاطف والرضا عما تؤول إليه هذه النزعة.

المدرسة البرغسونية:

تكونت في فرنسا، تحت تأثير "برغسون"، مدرسة واسعة ممتدة من الأطراف منذ بداية القرن العشرين الميلادي، وهو العصر الذي تأثر أيضا بحركة "نقد العلم" .. وقد اتجهت هذه المدرسة في الاتجاه الحيوي واللاعقلي إلى أبعد مما ذهب إليه برغسون نفسه، وأغلب أعضاء تلك المدرسة ممن يعلنون أخذهم بالبراغماتية، والباقون ممن يأخذون بالاتجاه "الإرادي" الذي يعتبر أن للإرادة الأولوية على العقل، وأن الحقيقة، كما هو الحال قيمة حيوية"[140]

يفهم مما سبق أن المدرسة البراغماتية جاءت للجزم في النتائج التي تضفيها الاتجاهات الفكرية على غرار المناهج المعتمد والآليات المتخذة إزاء عمليات البحث العلمي، لترتكز أساس على ما هو جوهري وأساسي للإنسان (الأمريكي، الأوروبي)، بحيث أن كل ما يبحث عليه الفرد داخل مجتمعه هو الازدهار والنمو والتطور، ولا يتجلى ذلك إلا في كون ان المجال الذي يبحث فيه يكون مفعما بالمنفعة التي تحقق له ما يصبوا إليه. لذا حضيت هذه المدرسة بالتعاطف وسلمت من شدة سهام النقد التي تعرضت لها جل الاتجاهات والمدارس الفكرية الأخرى.

[139] إ.م، بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوربا مرجع سابق، ص101
[140] للمزيد من الاطلاع أنظر: المرجع نفسه، ص201، ص202

استنتاج:

لقدت أحدثت البراغماتية بتوجهها الخاص والفريد على مر التاريخ شبه قطيعة مع ما قدمه الآخرون (الترجربيين – المثاليون – الطبيعون ...)، ذلك لأنها أتت بما يفرضه مقتضى العيش والحياة للإنسان والمجتمع، فلا جدوى من التنظير والتجارب من دون فائدة، وأن التراكم المعرفي لا يمكن توظيفه عمليا يتلاشى مع مرور الزمن، فالغاية الفعلية التي ترجوها البراغماتية هي الاهتمام بالإنسان والنظر إليه من الجانب التطوري والتركيز على الآليات والأفكار التي تساعده في عملية النمو، وبالتالي الطاقات والممكنات التي يكتبها ويمتلكها عليه ان يضيف إليها فعل الإرادة وعملية الإجراء والتطبيق تكون داخل حيز المنفعة والاستفادة.

المحاضرة الرابع عشر: التيار الظواهري الفينومينولوجي Phenomenohogie

تمهيد:

تسعى الفلسفة الظواهرية إلى بلوغ الإمكانية في تحليل الظواهر والأشياء تحليلا منطقيا، ولمعرفة ذلك سنتطرق في هذه المحاضرة إلى رفع اللبس حول كل ما تعلق في الغموض لفهم وإدراك المنهج الظواهري أو الفينومينولوجي بناءا على توضح التعريفات والمنطلقات الفكرية التي تأسست عليها الظواهرية بدءا بمفهومها وعرض موجز عن ما قدمه رائها الشهير "ايدموند هوسرل" ليتضح لنا من خلال كتاباته الفلسفية القيمة التي يضفيها للأبحاث الفكرية خاصة خلال القرن التاسع عشر الذي حضي بمجموعة من الفلاسفة الذين أثاروا جدلا كبيرا في الساحة الفكرية، والهدف منه هو السبيل الصحيح والطريقة الممكنة للوصول إلى الحقيقة واكتساب المعرفة، وفي هذا السياق سنستعرض موضوع الفينومينولوجيا الذي يرتكز أساسا على الماهية، أو بالأحرى ماهية الشيء والواقع المعيش.

تعريف الفينومينولوجيا:

مشتقة من الكلمة الإغريقية Phainomenon، وتعني ظاهرة، وLogos وتعني علم/ خطاب، فهي علم الظواهر، واصطلاحا هي دراسة ظاهرة أو مجموعة من الظواهر[141]

"الفلسفة الفينومينولوجية تشكل التيار الثاني الكبير الذي أدى إلى قطع الصلة والانفصال عن الفكر السائد في القرن التاسع عشر الميلادي في الحضارة الغربية، وهو في ذاته اثنين، والآخرهو فلسفة الحياة، ولكن نوع مساهمتها في قطع الصلة مع فكر القرن التاسع عشر الميلادي مختلف في كل حالة عن الأخرى"[142]

[141] Jacqueline Russ, Badel leguil, Dictionnaire de philosophie, Bordas, Paris, 2004, p310

[142] إ.م، بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوربا، شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر، 1992، ص 219

ومن أشهر رواد الفلسفة الفينومينولوجية المفكر الألماني إيدموند هسرل بحيث يغرفها أنها: "علم الماهيات ... أي أنها ذلك العلم الخالص الذي يدرس الظواهر باعتبارها ماهيات، وبمعنى آخر إنها منهج ينحصر في وصف الظاهرة، أو في وصف ما هو معطى على نحو مباشر، أو وصف خالص لمجال الواقع المعاش، عكس التصور الكانطي الذي يرى أن الظواهر تعرف وحدها دون الجوهر أو الشيء في ذاته، أي أن الوجود لا يعرف في ذاته[143]

إيدموند هوسرل: (1859 – 1937)

يعد هوسرل من مؤسسي المنهج الظواهري أو ما أطلق عليه ب: الفينومينولوجي، عمل على تأليف الكثير من الدراسات والبحوث الفلسفية التي أخذت طابعا نقديا متجاوزا الذين سبقوه ، وذلك لتركيزه على الصرامة والدقة في الوصول إلى الحقيقة حيث استند في منحاه على أستاذه " برنتانو المفكر الألماني" لدرجة أن فكر أصبح امتدادا له، وما ميز مساره العلمي هو الانطلاق في أعماله من علم الرياضيات، العلم الذي مكنه من تأسيس البحوث المنطقية.

تطور فكره:

نقد المذهب الإسمي:

عمل هوسرل على "البرهنة أن القوانين المنطقية ليست قواعد على أي نوع من الأنحاء، وعلى أن المنطق ليس علما معياريا، وإن كان أساسا المذهب معياريا، شأنه في هذا شان كل العلوم التجريبية"[144]

[143] ادموند هوسرل، أفكار مهتمة لعلم الظاهريات الخالص والفلسفة الظاهراتية، تعريب، أبو يعرب المرزوقي، دار جداول، بيروت، ط1، 2011، ص22 – 23.

[144] إ.م، بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوربا، مرجع سابق، ص226

يمكن القول أن هوسرل يشدد على مقولة الكل الذي تعد موضوعا من نوع خاص لا يمكننا إخضاعه للتصورات العامة، ويتجلى هنا النقد الذي يتعارض من خلاله هوسرل مع سابقيه أمثال "جون لوك"

مذهبه في الدلالة:

لقد شكل التعارض والنقد الذي سق الحديث شرخا معرفيا في الساحة الفكرية خلال القرن العشرين، الأمر الذي جعل المنطق من منظور هوسرل له ميدان وحقل خاص به. "فإننا حين ندرك معنى اسم أو محمول في قضية منطقية، فإن ما يشير إليه هذا او ذاك لا يمكن على الإطلاق أن يعد جزءا من الفعل الذي يقوم به العقل من جهته، هذا الذي يشار غليه، والذي يلقب الفعل العقلي في مقابله، هو الدلالة.

إن هناك العدد العديد إلى ما لا نهاية له، من التجارب الفردية، ولكن هناك دائما ما تعبر عنه هذه التجارب، وهذا الذي تعبر عنهن أي الدلالة، هو واجد ذو ذاتية مستقلة باقوى معاني هذا التعبير.[145]

موضوع الفينومينولوجيا:

إن "موضوع الفينومينولوجيا هو الماهية (Essence)، اي المضمون العقلي المثالي للظواهر، الذي يدرك في إدراك مباشر، هو رؤية الماهيات (Wessenschau)، ومن هذه الوجهة للنظر فإن الفلسفة الفينومينولوجية تقف في تعارض مع فلسفة القرن التاسع عشر الميلادي في الغرب مرة أخرى، وهي الفلسفة التي لم تكن تعترف لا بوجود ماهيات ولا بإمكان معرفتها"[146]

[145] م إ.م، بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوربا، مرجع سابق، ص228.
[146] المرجع نفسه، ص220.

الماهية:

يقول الجرجاني في" التعريفات": "الماهية تطلق غالبا على المتعلق، مثل المتعلق من الإنسان وهو الحيوان الناطق، مع قطع النظر عن الوجود الخارجي. والأمر المتعلق من حيث انه مقول في جواب ما هو يسمى ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة، ومن حيث امتيازه عن الأغيار هوية، ومن حيث حمله للوازم ذاتا، ومن حيث يستنبط من اللفظ مدلولا، ومن حيث انه محل الحوادث جوهرا[147]

آليات وخطوات المنهج الفينومينولوجي عند هوسرل:

1-نقد النزعة السيكولوجية:

يسعى هوسرل من خلال هذا المبدأ إلى تأسيس منهجا علميا أكثر صرامة ودقة وذلك من خلال الخوض في دراساته وأبحاثه التي ترتكز أساسا على الجانب المنطقي الذي يهدف إلى التحرير والتجاوز الذي شهدته المعظم النزعات الأخرى (النزعة السيكولوجية)، لأن هذه الأخيرة من منظور هوسرل تزامنت مع أزمات العلوم الإنسانية في القرن 20، الأمر الذي جعلها تنظر وتدرس الأشياء وفق ما تراه وتبتغيه، وبالتالي عملت على تصنيف المنطق ضمن فروع علم النفس، " في حين أن القواعد التي يبحث فيها علم النفس تختلف عن القوانين المنطقية، ذلك لأن علم النفس يبحث في الصلات التي تربط بين الأفعال الذهنية، والتي تظهر بطريقة سببية بناء على النظام السلوكي للجهاز العصبي، أما القانون بالمعنى المنطقي فيختلف عن التفسير السلوكي الذي يسعى إليه علم النفس، فالقانون بالمعنى المنطقي هو تعبير عن محتوى الصدق المتضمن في التصورات والأحكام والاستدلالات، وهو يبحث عن ما يجب أن يكون عليه التفكير كي يكون منطقيا، ومن هنا يأتي طابعه

[147] المرجع نفسه، ص220

المعياري، ذلك الطابع المتخفي تماما من الدراسة السيكولوجية"[148] وفي السياق ذاته لم يكن هوسرل منافيا لكرة احتواء التجربة والخبرات النفسية على معارف ومكتسبات، إنما يسعى إلى الكشف عن مواطن القصور للعلم وحدوده ، وبتوضيح آخر للفهم يمكن استحضار قول الفيلسوف "كانط" الشهير: "كل معرفة تبدأ مع التجربة، لكن ذلك لا يهني أنها تشتق من التجربة"[149] حيث نخلص إلى الفكرة التي مفادها ان هوسرل لا يدعي اي تفسيرا للعالم يكون من منطلق مقدمات أولية نجزم من خلالها أن تكون مطلقة، بل المقاربة تكون وفق الطبيعة الأولى للشيء الخال من التنظيرات والتفسيرات.

2-القصدية: L intentionnalite

بعد تحرير هوسرل أحكام المنطق من النزعة السيكولوجية، يصاف مرة أخرى واحدة من المسائل التي أرقت الجهود الفلسفية لكثير من الباحثين، وهي مشكلة صلة الفكر بالواقع، أو بالأحرى الوعي بموضوعاته، حيث سعت الدراسات إلى التصدي لها ومن الأفكار التي ابتكرت فكرة القصدية التي استوحاها هوسرل من أستاذه برناتو"1838 – 1917"، التي يرى من خلالها الميزة الأساسية لكل ظاهرة نفسية ترتبط بموضوعها ارتباطا ملازما، وكذلك لسد الفجوة بين الوعي والعالم، والتي تعمل على تأسيس ما سماه هوسرل بالفينومينولوجيا المتعالية أو الترنسندنتالية.

يمكننا فهم ما تصبو إليه فكرة القصدية عند هوسرل وفق ما يلي:

أ- هوسرل يحاول أن يبني منطقا محضا، يكون هو الأساس الذي تبنى عليه المعرفة العامة لكل العلوم، بل وتكون لغته هي لغة الحقيقة، وهذا المنطق المحض هو نتيجة تلك الخاصية القبلية التي يمتلكها الوعي، ونعني خاصية التوجه نحو ماهيات

[148] إدموند هوسرل، مباحث منطقية،، تر: موسى وهبة، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص.100، 101.
[149] المصدر نفسه، ص108.

المواضيع والأشياء ... ومن هنا تصبح تلك القصدية هي في أفعال الوعي او مجموعات أفعاله، فالوعي هو فعل الوعي لأنه لا وجود لواسطة بين الوعي وتوجهه هذا، وهذا هو الوعي الخالص او الوعي الترنسندنتالي الذي يؤسس للمعرفة.

ب- يميز هوسرل ضمن هذا الفعل القصدي الذي بيناه آنفا للوعي بين نوعين من القصد:

- **القصد الذاتي:** يعني حضور الذات والوعي في فعل الخبرة القصدية نفسها.. وفي اندماج هذين العنصرين تتكون بنية الفعل القصدي ككل، بوصفها عملية التفكير، أو فعل التفكر والتأمل البسيط.

- **القصد الموضوعي:** يؤسس لما يسميه بعلم الماهيات، والذي هو موضوع الفينومينولوجيا بكليتها.

ج- يفرق هوسرل بين نوعين من الحدس، حدس فردي وحدس ماهوي، الأول موضوعه فردي عيني بمعنى تجريبي واقعي، والثاني ماهوي موضوعه الماهية، الأول تندرج ضمنه العلوم والطبيعة والتجارب الحسية العينية، أما الثاني فهو مرتبط بتلك الأحكام نحو تلك موضوعات الوعي أيا كانت بشرط ماهياتها[150]

3-الرد الفينومينواوجي: (تعليق الحكم Epoche الإبوخية):

تتلخص مرحلة الرد الفينومينولوجي عند هوسرل في كونها تصل إلى درجة من التحرر والاستقلالية عن العالم الخارجي المرتبط بالاعتقادات وجملة الفروض المسبقة التي شكلها الوعي الإنساني نتيجة الفروض المسبقة، ليرتقي من خلال ذلك إلى عالم التركيز للظواهر

[150] للمزيد أكثر انظر: سليماني عبد العزيز، "الفينومينولوجيا عند إدموند هوسرل، بحث في نشاتها وعناصرها الأساسية، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، المجلد 16، العدد01، 2023، ص594، ص595

بكونها خالصة كما تتراءى للوعي. وهو عالم تدركه الفينوميونولوجيا المتعالية في مقابل المفهوم الموضوعي للعالم كماهيات.

لقد اطلق هوسرل على عالم الماهيات إسم "العالم المعيش" Lebenswelt، معتبر إياه أهم مشكلات الفلسفة"[151].

اما فيما يتعلق في طريقة الوصول إلى العالم المعيش حسب هوسرل نجد الانسان وهن طريق وعيه للعالم هي البدايات الأولى غلى الوصول للعالم المعيش بحيث أننا ننتج إدراكات أو بالأحرى معطيات أولية نستند عليها وتكون بديهية. غير أن "ما أدركه بطرق ير مباشرة أو عبر خبرات مشابهة هو ما يكون لي ما نعنيه بالعام المعيش، إنه إدراك قبلي وسابق عن الخبرة، حيث تتحدد إدراكاتي عبر علاقاتي بالناس من لحظة وعيي لهذه العلاقات ومدى عمقها وأبعادها، وإن كانت غير مدركة عندي بصورة ملموسة وآنية، فيكون كل ذلك في المجمل فهما خاصا لي للعالم الذي أنا فيه، وإدراكا لعلاقته المتعددة وترتيبه الماهوي، مما يكون لي تلك الصورة العامة واليقينية والموضوعية عن العالم الذي أنا فيه، وأدركه كل لحظة بصفته معطى هو الآخر، والذي يحوي كل معطى لاحق"[152]

يفهم من خلال ما سبق قوله أن هوسرل وبهذه الكيفية التي تكاد تشبه الشكية الديكارتية من خلال الأحكام التي تصدر من وعيينا المنفصل عن العالم الخارجي (بين قوسين) وعن الحدوس التي تم تكوينها عن الظاهرة، بحيث لا يمكننا تجاوزه أو رفض أحكامه، بحيث نقع في المحايثة من جهة من خلال إطلاق أحكام على أحكامنا في عملية غير منتهية تقضي بفشل مهمة الفينومينولوجيا من أساسها، كما يمكننا القول اننا قد نقع في المفارقة لأنها بعيدة عن وعيينا ولا يتم القيام بفعل الحكم إلا عن طريق ما سماه ب: القصدية، لذا نجد ان

[151] إدموند هوسرل، أزمة العلوم الاوروبية، والفينومينولوجية الترسندنتالية، تر: اسماعيل المصدق، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2008، ص214

[152] سليماني عبد العزيز، "الفينومينولوجيا عند إدموند هوسرل، مرجع سابق، ص596، ص597

المعرفة عند هوسرل قد تختلف عن موضوع المعرفة في حد ذاته. وفي سياق هذا التباعد نجد هوسرل يميز بين نوعين من الرد الفينومينولوجي:

أ- **الرد الماهوي:** يمثل عملية فصل الحدس الماهوي لأشياء عن إدراكاتنا الحسية والتجريبية السابقة او المصاحبة لمدلولات الشيء، ومدلولات الشيء هنا هي تلك الخلفية التي أمتلكها عن الشيء مسبقا باعتباره أداة للإستعمال النفعي مثلا أو محل شعور سابق لي، كل ذلك يمنعني من أدرك أو أحدس الشيء في ماهيته .. لذلك وجب ان تعلق كل هذه الأحكام المتأثرة بواقع الأشياء وتوضع بين قوسين في سبيل طلبنا للموضوعية.

ب- الرد المتعالي: في هذا المستوى يسعى الوعي لتعليق أحكامه على الظواهر المحايثة نفسها وفصلها عن صلاتها الواقعية السابقة لتصبح منتوجا للوعي نفسه، بوصفها خبرة قبلية ينتجها الأنا المتعالي نفسه، إنها خبرة خبرة قبلية يمتلكها الوعي، ومتعالية لأنه – في – العالم وموضوعاته هي أفعاله من حيث غنه هو نفسه توجه لموضوعاته .. وبذلك تنتهي الفينومينولوجيا إلى مثالية متعالية (نسبة للانا المتعالي) تؤسس للعلم بكليته.[153]

الفينومينولوجيا بعد هوسرل:

لقد تركت الفينومينولوجيا أثرا بالغ الأهمية على الصعيد المعرفي والذي ربط بين التيارات الأخرى والمناهج العلمية التي استوحت أفكارها من هذا المنطلق، ذلك اما أحدثه في صور تجليات مبتكرة، لذا نجد انصار التيار الوجودي على سبيل المثال (مارتن هيدغر) يعتمدون آليات الفينومينولوجيا في بناء فلسفتهم الأنطولوجية من خلال تطبيقاتها، إلا أن هيدغر تجاوز أسبقية الماهية والكينونة عن طريق اللغة "وكذلك تجاوز قاعدة تعليق

[153] للمزيد من الاطلاع أنظ: سليماني عبد العزيز، "الفينومينولوجيا عند إدموند هوسرل، مرجع سابق، ص 596 وما بعدها.

الحكم، ليؤسس بذلك تحليلات أنطولوجية فينومينولوجية للكائن وموقعه في العالم، إضافة إلى تحليلات المبتكرة عن الفن والشعر[154] ومن الدلائل الاخرى على تأثر هيدغر بالمنهج الهوسرلي هو الإشارة إليه في كتابه الشهير "الوجود والزمان".

من ناحية أخرى يمكن استحضار نموذج "جان بول سارتر" (1905 – 1980) الذي عبر عن تاثره للفينومينولوجيا في الكثير من المحطات أهمها رفض المثالية المتعالية التي وصلت إليها وكذلك في وصفها بالحلول المفتعلة التي تخلق معارف موضوعية ضن رؤى ذاتية حيث يرى أنه لا وجود للحقائق الموضوعية على الإطلاق." لذلك تنقلب الفينومينولوجيا إلى أنطولوجيا ذاتية وضمن تجربة خاصة هي الأخرى مثل ما رأينا عند هيدغر، الأمر الذي جرفها بعيدا عن هوسرل لبناء قضايا ابستمولوجية تدعي الموضوعية[155]

كما نجد للمنهج الفينومينولوجي توغل كبير داخل الاتجاهات الأخرى خاصة الكبرى منها مثل فلسفة الدين وتحديدا الكتابات المعاصرة مع مطلع النصف الثاني من القرن 19، وما يجب التركيز عليه في سياق تأيرها العلوم والفنون الأخرى مثل الجمال وغيرها هو تأسيس علم المعيش لدى هوسرل، الشيء الذي منح التفكير الاستلهام اثناء دراسة الظواهر والأشياء في أرض الواقع حيث يظهر ذلك جليا عند الكثير من الباحثين امثال "جاك لوك ماريون (1946)، وخصوصا في تناوله لمفهوم "العطاء" وكما تتجلى عند "إيكانويل ليفيناس (1995 – 1906) الذي عمل على توظيفها من خلال تحليلاته حول علاقة الأنا بالآخر والآخر المتعالي.

[154] محمد بن سباع، تولات الفينومينولوجيا المعاصرة (مرلبونتي في مناظرة هوسرل وهايدغر)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان، ص74.

[155] سليماني عبد العزيز، "الفينومينولوجيا عند إدموند هوسرل، مرجع سابق، ص599.

استنتاج

لقد أوضحت لنا هذه المحاضرة الطريقة التي يسعى إليها رواد المنهج الظواهري في دراسة الظاهرة والأشياء خاصة نموذج "هوسرل" الذي كان محكما بآليات جعلت منه أن يلم بجوانب الموضوع المدروس "الظاهرة" وفقا المراحل التي تمر عبرها الدراسة موضحا ان وعي الإنسان للعالم الخارجي هو الذي يمكنه من السيطرة عليه، ويتجلى ذلك من خلال رفض التصورات العامة التي تصدر عن الآخرين ان المنطق العام لا يوصلنا إلى الغاية المرجوة أو بعبارة أخرى إلى كنه الظاهرة المدروسة، كما يراهن هوسرل على سبيل المثال على الخبرة القبلية الي ينجها الإنسان والتي تدفعه مباشرة إلى احتواء الشيء المدروس عن طريق التعالي، وعليه يصبح الرد او الحكم حكما دقيقا صائبا.

المحاضرة الخامس عشر: التيار التأويلي

تمهيد:

تمثل هذه المحاضرة دراسة شاملة عن مقتضيات التيار التأويلي الذي يعد من التيارات القديمة الحديثة، لأن تاريخها يعود إلى العصور القديمة ومرورا بعصر الوسيط إلى الفترة حديثة والمعاصرة، فلا يمكن استحضار القضايا والمسائل التي اشتغل عليها التيار التأويلي إلا بعد التطرق إلى الجانب الكرونولوجي للتأويل بدءا بالمصطلح ثم التغيرات التي طرأت عليه على سبيل الهيرمينوطيقا والفنون التأويلية التي شهدها مطلع القرن التاسع عشر كما سنبرز في هذه المحاضرة التأويل الغربي ونشوءه كما سنبين كيفية تناوله من منظور عربي أو إسلامي من خلال النصوص التي شملته خاصة النص القرآني ومت ترتب عنه من جدل لغرض الوصول إلى كنهه ومعناه الصحيح.

أ- التأويل (المصطلح والمفهوم).

يعد التأويل من بين أهم المصطلحات والمفاهيم المعرفية التي أخذت طابعا فلسفيا نظريا وعمليا في مجال الاشتغال على النص في بنيته المعرفية والتاريخية، ولقد تعددت المعاني المفاهيمية والاصطلاحية للتأويل عبر التاريخ، وهنا نكشف في هذا السياق عن الدلالات التي أخذها هذا المفهوم، من خلال التعريج عن تطوره التاريخي المعرفي والمفاهيمي وستتحدد نقطة البداية بالجانب الاصطلاحي والاشتقاقي للكلمة.

التأويل لغة:

هيرمينوطيقا: بالفرنسية hermèneutique مشتقة من الإغريقية hermèneutike وhernèneuein و* hermeneus كما يعني مصطلح هيرمينوطيقا المفسر أو الشارح

*- تشير الكلمة Hermetosالى كاهنة Priest معبد دلفي أما Hertmeneuein والإسم hermeneia الإله المجنح هيرمسأما الكلمة فقد اشتقت من اسمه والعكس صحيح.

حسب العبارة اليونانية الكلاسيكية "هرمس" Herminus**، الذي يرمز إليه في العرف اليوناني القديم بأنه –أي هرمس– رسول الآلهة إلى البشر، أي الذي يقوم بترجمة ونقل المعاني الإلهية إلى البشر، حيث كان يربط بين تعاليم العالم الفوقي الإلهي والعالم الأرضي البشري.

فن التأويل:

"فن التأويل يعني hermèneutique تمييزا لها عن التأويل بمعنى interpretation لأنها الأقرب إلى روح الكلمة نفسها مثلما تقول "ميتافيزيقا" أو "فينومينولوجيا" فهناك دوما كلمات هي في عداد المتعذر ترجمته تتضمن كلمة hermèneutikè بالإغريقية في اشتقاقها التقني لآليات ووسائل لغوية ومنطقية وتصويرية واستعارية ورمزية"[156]، فللكلمة معانى إغريقية متعددة الاشتقاقات اللغوية، إن التمييز الحديث للكلمة hermèneutique عن interpretation يعود إلى أن الكلمة الأولى ذات ارتباط وثيقا للإرث الاصطلاحي اليوناني الذي يدل عليها دلالة واضحة من الناحية الاشتقاقية بينما الكلمة الثانية التي تعني التأويل كذلك هي ناتجة عن اشتقاق لغوي حديث العهد له صلة بالمعنى الأول، ولكن هذا لا يؤدي إلى القول باختلاف الكلمتين اختلافا جوهريا، وإنما هي تمييزات اعتبارية فقط تقتضيها الضرورة المنهجية والمعرفية.

في لسان العرب:

"في لسان العرب يعني مصطلح التأويل آل يؤول أي يسار إليه والقيمة الدلالية والأنطولوجية التي نمنحها هو أن الأصل الذي تِؤول إليه الأشياء وما يبحث عنه التأويل

** – يطلق اسم هرمسية أو فلسفة هرمسية على مجموعة عقائد يضن أنها ترجع الى الكتب المصرية المسمات كتب "توت" Toth المثلث العظمة، هذه العقائد معروضة في نصوص يونانية يحوم الشك حول تأريخها وأصلها.

[156] – الزين (محمد شوقي): «تأويلات وتفكيكات »، فصول في الفكر الغربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص28.

تجوبه جملة العلاقات الاختلافية والاستعارية دون إرجاع الأشياء إلى قيم متعالية أو أصل مطلق"[157].

اصطلاحا:

عرفت الهيرمينوطيقا كنشاط معرفي في موضوع تأويل النصوص المقدسة التي تحتاج إلى تفسير ثم انتقل إلى تأويل النصوص التاريخية مهما كانت طبيعتها، و"يشمل التأويل كذلك كل ما يتعلق بتفسير النصوص الفلسفية والدينية على نحو تستخرج فيه الدلالة المجازية من الدلالة الحقيقية"[158]، كما تعلقت الممارسة التأويلية عبر تطورها التاريخي بالنص التاريخي أيا كان نوعه، لأن ما يشمل عمل التأويل الأساسي هو النص بالضرورة، وهو يتعلق ببنية نصية ذات سياق خاص، يتم من خلال عملية الفهم البشري الوصول إلى غاياته وأهدافه العميقة، أو ربما الوصول الى مكنوناته المحتجبة في ذات النص.

الهيرمينوطيقا فلسفيا:

أما "فلسفيا فتدل الهيرمينوطيقا كما يرى "هانز جورج غادامير" قبل كل شيء على ممارسة فكرية تشير إلى الفن أو الآلية، أي ما يدل على التراث والتفسير والتأويل الذييحتوي على فن الفهم كسند ضروري، ويلاحظ غادامير أن أفلاطون لا يربط معنى التأويل بالتعبير عن الأفكار وإنما بمعرفة الأمير والرسول، والذي له خاصية الأمر والإذعان حيث لا توجد أية صيغة لفهم التقارب بين فن التأويل وفن التكهن، كما أن أرسطو في مؤلفه "Perihermeleais"، لا يفكر في المعنى المنطقي للعبارة عند معالجة Lgos أو Apophanlikos، وهكذا تطور المعنى المعرفي لHermeneias وHermeneus في الهيلينية المتأخرة ليدل على التفسير العلمي أو المؤول المترجم"[159]، وحسب تحليلات غادامير هته فإن فن التأويل كممارسة فلسفية كان ذا أصول فلسفية نسقية عند أفلاطون وأرسطو،

[157]– المرجع نفسه، ص30 .

[158]– عبدو الحلو، "معجم المصطلحات الفلسفية"، المركز التربوي للبحوث والإنماء، مكتبة لبنان، ط1، 1994، ص75.

[159]– غادمير، « فلسفة التأويل، الأصول، المبادئ، الأهداف »، ترجمة: محمد شوقي الزين، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006، ص61، ص62.

حيث أنه باعتبارهما فيلسوفين نسقيين كان لهما تحديد خاص وفهم معين للمعاني والدلالات التي تعلقت بفن التأويل فأفلاطون لم ينظر إلى التأويل كتعبير أو ترجمة عن الأفكار الخاصة التي هي لصيقة بالنفس الإنسانية وإنما نظر إليه كمعرفة سامية تتعلق بالأخصية المميزة من البشر فقط، أما عند أرسطو فقد تم تغليب الجانب العلمي المنطقي على التأويل*، لأنه من جنس ماهية اللوغوس، والذي من معانيه المتعددة العقل أو الخطاب، وهو متعلق بالوجود أو الأونطولوجيا عامة، فالتأويل نشاط معرفي علمي يتعلق بفهم وترجمة الوجود في معناه الكلي والشامل.

ولكن "التأويل عرف كذلك على أنه كل تفكير فلسفي حول الرموز الدينية والأساطير بشكل عام، ولكل أشكال التعبير الإنساني"[160]، إذ هي لا تختصر فقط على جانب من جوانب النص، بل العملية التأويلية تطورت تاريخيا كمبحث أساسي في الفهم البشري، حيث كان أول من استثار العقل البشري ودفعه إلى إثارة هذا الفن في شكله الأولي البسيط هو النصوص الدينية المقدسة التي جاءت محملة بالدلالات والرموز والمعاني، وكان يتطلب من العقل البشري أن ينزلها إلى مستوى الفهم، وأشهد اللحظات التاريخية التي بلغ فيها تأويل النصوص الدينية المقدسة مرحلة البداية النظرية هو العصر الوسيط، الذي برزت فيه من الناحية الأكاديمية أعراف التأويل كممارسة تطال النص الديني، حيث "ارتبط فن التأويل بإشكالية قراءة الكتابات اللاهوتية والنصوص المقدسة مما دفع أحد اللوثريين إلى الثورة على سلطة الكنيسة في مسألة مصادرة حرية قراءة النص المقدس ليقترح أولوية التراث في تأويل بعض

*- يذكر لنا غادامير عن أهمية أرسطو تأويلا أن أرسطو لم يهتم بالمشكلة التأويلية مباشرة ولكن غادمير سعى إلى أن يبين الدور الذي يتميز به أرسطو في تأكيده على أهمية العقل في الجانب الأخلاقي أو الفعل الأخلاقي، وفلسفة أرسطو كانت تسعى إلى محاولة الربط بين الكل والجزء وتأكيده أهمية كل منهما في عمل العقل الفلسفي، وهكذا نجد أرسطو يتسأل عن دور المعرفة والأخلاق في الوجود الإنساني من خلال فهم هذه==العلاقة، كما تكمن أهمية أرسطو في تركيزه في كل هذا على المنهج، أي الجانب العملي التطبيقي. أنظر، غادامير، "الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية" ترجمة، حسن ناظم، وعلي حاكم صالح، دار الطباعة والنشر أويا، ط1، 2007، ص423.

[160]- تلوين مصطفى، "التأويل والعلوم الإنسانية عند غادمير ضمن مؤلف جماعي تحت عنوان، "التأويل والترجمة مقاربات لآليات الفهم والتفسير"ص97.

المقاطع الغامضة من النص وطابع الاستقلالية في فهم محتوياته بمعزل عن كل إكراه أو توجيه قسري"[161].

إن النص الديني المقدس خصوصا في الاعتقاد المسيحي جاء محملا بالكثير من التعاليم الدينية التي تضمنت تاريخ الحياة البشرية والجانب الميتافيزيقي الغيبي المتعلق بمصير الإنسان في العالم الآخروهذا إنما كان أساسا أصيلا في المعتقد المسيحي، ولكن التطور التاريخي لهذه الديانة قد جرّ معه سوء الفهم والتفسير لمضمونه، أو على أكثر تقدير تحريف له عن مقاصده ودلالاته الحقيقية، إن الأمر يعود إلى أن النفس البشرية تتقبل ما هو في مصلحتها الخاصة في مقابل المصلحة العامة، وما هو أقرب إلى الواقع الحسي، ولكن الاختلاف في الديانة المسيحية لم يكن يشمل قضية تطبيق تعاليم النص، بل شمل النص ذاته مما أدى إلى اختلاف بيّن وظاهر بيْن الكثير من المفكرين ورجال الدين المسيحيين.

يؤكد هذا "دافيد جاسير" بأن "معضلة التأويل بدأت داخل النص الإنجيلي من خلال الفكرة القائلة باستحالة قراءة الإنجيل من دون الإقرار بأن عملية التفسير جارية حتى داخل وأثناء كتابة النصوص الدينية"[162]، لأن أي قراءة ستجلب معها فهما وتفسيرا مباشرا وفوريا للنص، الذي جاء أساسا مخاطبا للإنسان ومن أجل الإنسان، إن قدسية النص مهما بلغت من التعالي عن الفهم والمعنى فإن عملية الترجمة والتأويل الإنسانية مستمرة ومختلفة لا يمكنها أن تتوقف، بحكم المتغيرات الإنسانية التاريخية التي تجعل النص ذات كينونة تاريخية مستمرة ومتدفقة على تعدد المعاني والدلالات التي يمنحها الفهم البشري.

التأويل في المرحلة الكلاسيكية:

يمكن القول بأن "التأويل تعلق في مرحلته الكلاسيكية بترجمة النصوص الدينية حيث تطور في العصر الوسيط بشكل كبير جدا من خلال تناول المعنى الروحي للنص

[161]– محمد شوقي الزين: «تأويلات وتفكيكات »، فصول في الفكر الغربي المعاصر، ص30.

[162]– دافيد جاسير، "مقدمة في الهيرمونوطيقا"، ص16 .

المقدس"[163]، ويعتبر أوغسطين 354-430 أهم مؤول في الكنيسة المسيحية لأنه كان قارئا جيدا للفلسفة اليونانية والأفلاطونية واللاهوت المسيحي،ومن خلال كتابه "الاعترافات" أنه قدم تفسيرا رمزيا للإنجيل وطور قراءة متعددة لنصوصه، وكذلك إسهامه في نظرية الإشارات التي شرحها في كتابه حول "العقيدة المسيحية" التي تقول بأنه لابد لنا في قراءة أي نص أن نلتزم بتحليل شامل للغة النص قائلا: "الإنسان الذي يسند حياته برسوخ الإيمان والأمل والحب لا يحتاج إلى النص الديني إلا ليعلم الآخرين"[164]، أي أن العلاقة التي تربط الفهم البشري بالنص الديني لا بد أن تبقى حبيسة له بدون فهم أو تفسير أو تأويل يفك رموزه ودلالاته، إذ لابد أن يكون هذا النص ذا مجال للتعليم والتلقي ليكون في مستوى فهم أغلبية البشر.

إن تعلق التأويل بالنص الديني المقدس لم يكن عملا نظريا يخل أو يعطل عمل التأويل كنشاط يمارسه الفهم البشري، وإنما هو إعادة تطوير جديد له ولمهامه، وعلى الرغم من هذا فإن تأويل النص الديني خاصة في المرحلة الوسيطية الكنسية والمسيحية لم يكن مخولا للعامة من البشر وإنما هو كان خاصا بالكهنة والرهبان الذين كانوا أقرب إلى محتوى تعاليم الدين ومصادره، وهذا ما أثار حفيظة بقية البشر، لأنهم وجدوا أنفسهم يخضعون إلى تعاليم وأوامر تمليها عليهم السلطة الكهنوتية التي خولت لنفسها دون غيرها أحقية فهم النص وتفسيره، وهذا الأمر يعد من بين أهم الأسباب الجوهرية التي أدت إلى انهيار الدعائم الفكرية والتاريخية لثقافة العصر الوسيط،

الفترة الحديثة:

يعد بروز ما يسمى عصر الأنوار والحداثة الذي مهدت له النهضة الأوروبية الغربية الحديثة، من خلال دعوتها إلى الحرية الإنسانية وقيم العدل والحق وهي كانت تعمل على

[163]-Christian berner. "l'hermeneutique et le probleme de la vènitè" . Ouvrage dirigè par roland quilliot. Ellises. Paris. 1997. P84.

[164]- دافيد جاسير، "مقدمة في الهيرمونوطيقا"، ص64، ص65.

إزالة الوهم اللاهوتي الذي ظل مسيطرا على العصر القروسطي حيث أعطت الحداثة الغربية معان أخرى للتأويل من خلال فتحه على أفاق جديدة.

وحسب الفيلسوف الألماني المعاصر غادامير فقد "ظهر التأويل كممارسة نظرية ومنهجية في الفترة نفسها التي تشكل فيها المفهوم الحديث للعلم والمنهج حيث أصبح الوعي المنهجي مسألة لا تتفكك عن هذا المفهوم الحديث، وأول ما ظهرت كلمة هيرمينوطيقا بمعناها الاصطلاحي والمفاهيمي الحديث كان ذلك في عنوان إحدى الكتب عند دنهاور سنة 1654م، حيث تم تمييز التأويل اللاهوتي الفينومينولوجي عن التأويل القانوني، ويتجلى محور هذا البحث في جانبه الكلاسيكي على شكل التأويل الرمزي والذي هو تأويل قديم جدا، لأن المعنى الباطني أو الهيبونيا" hyponia يدل عن هذا الاستعمال"[165]، إن المعنى الجوهري للتأويل لا يقتصر على ظاهر النص، أو ما يمكن تسميته بتفسير النص بالنص، أي بمعاني وعبارات النص، وإنما يتعلق بصفة جوهرية بباطن النص، لأن المعنى العميق داخل النص هو ما يحتاج إلى تأويل وفهم بشري أكثر من كل معنى ظاهر أو بائن، إن عمل التأويل يقتضي الجانبين معا الفهم الفوري والمباشر، وكذلك التأويل بعيد المدى والأثر، إذ في النص معان ودلالات ورموز لا يمكن أن تتحقق إلا إذا كشفت عن نفسها في مسرح التاريخ البشري المستقبلي الذي يمكن من خلاله الحكم على مدى وجاهة النص في كشف المجهول.

إن نشاط التأويل الذي تزامن مع عصر الحداثة في الغرب لم يكن ذا بعد منهجي ومعرفي كامل ومنسق، لأنه لم يتم التأسيس بعد للتأويل، وإنما فهم التأويل في إطار المعطى الخاص بالجانب اللغويوتعلق بقضية التواصل الإنساني والاجتماعي الذي ركزت عليه

[165]– غادمير، « فلسفة التأويل، الأصول، المبادئ، الأهداف »، ترجمة: محمد شوقي الزين، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006، ص64.

المدارس اللغوية والألسنية الحديثة وهناك "معاني متعددة لمصطلح التأويل تطرح في مجال التواصل اللساني اللغوي وكذلك بالضرورة ما يشمل معاني مجتمعة قابلة للتطبيق اللغوي"[166].

فنون التأويلية الحديثة:

يشمل ثلاثة فنون مختلفة للتأويل:

"-**أولا:** ما يشمل النصوص المقدسة والآداب الأساسية للدين، التي تكشف وتوضح حقيقة النص.

-**ثانيا:** ما يشمل تطبيق المعاني العامة بشكل عملي أي الفلسفة المطبقة في رسالة حسنة من طرف الإنسان.

-**ثالثا:** ما يتعلق بالفقه اللغوي الذي يعرض كعلم إنساني أولي، في شمولية الإنسانية كأفق للقراءة"[167].

وهذه المعاني الثلاث تمثل ما يسمى بالتأويل العام، هذا التطور النقدي في فترته الأولية يشمل ميلاد فن التأويل كقراءة وترجمة للنصوص أو لمعاني النصوص، ثم تطور فن التأويل إلى نظرية في الفهم وهذا منذ أن أعطى كل من شلايرماخر وديلتاي للتأويل دورا ابيستيمولوجيا عاما في إطار ما يسمى بعلوم الروح في ما يقابل ما يسمى بعلوم الطبيعة. وبهذا يشكل التأويل كمنهج أساسي في العلوم التاريخية التي تفسر عن طريق الروح الإنسانية نفسها، لكن السؤال الأساسي الذي يطرح نفسه كيف تم تشكل هذه التوجهات في الأفق التأويلي نهاية العصر الحديث وكيف بلورت بداية الطريق نحو التأويلية الفلسفية المعاصرةبتأثر من فريديريك شلغل F.schlegel؟.

166 - Larousse"،grand dictionnaire philosophie "; sous la direction de Michel Blay, snrs édition 2005, pour la présente édition, vuef – édition, 2003, pour l édition original, p477

167 -Ibid. , p477

يعتبر فريديريك شلاير ماخر f. schleirmasher الأول الذي سيحرر فن التأويل كمذهب عالمي بشكل علمي، لأنه إذ كان كل من كانط وفيخته قد اعتبرا عفوية الكوجيتو "أنا أفكر" المبدأ الأساسي لكل فلسفة، هو أن هذا المبدأ قد تجلى في الميتافيزيقا الفردانية لجيل الرومانسية عند شلغل وشلايرماخر كأساس ونقطة تحول تاريخية التي وجدت مسعاها في تأكيد أهمية الفهم من خلال تأويل حيوي للنصوص الأدبية وبوجه خاص للكتاب المقدس*، إن التأويلات الكلاسيكية التي اقتصرت على التراث والفهم اللاهوتي الكلاسيكي لم تصبح كافية في مسايرة تطورات الفهم البشري، كما أن المعطيات الحداثية لم تكن كافية لتجديد نظرية في التأويل مستقلة عن سوء الفهم التراثي واللاهوت المسيحي بشكل كلي ومطلق، لأنه تم استبدال معقولية الأنا أفكر الديكارتية، أو الذات الإنسانية بمعنى التفسير الفردي الذي يعتمد على الوعي الإنساني وقدراته في الذاتية في تحصيل بنية الفهم المؤول. هذا بعد النقد الموجه لفلسفات الكوجيتو الحديثة التي أخذت مع كانط وهيجل أبعاد ميتافيزيقية أخرى، وبالتالي كان الجديد الذي قدمه كل من شلغل وشلايرماخر خصوصا يتعلق بالتركيز على الجانب الفرداني والمنسي في الذات الإنسانية المنفعلة، بعد أن كانت هذه الذات مع فلسفات الحداثة ذات فاعلة، ومادام أن الذات الحداثية التي تأسست على الكوجيتو كانت فاعلة فإن التأويل لم يتشكل في أفقه الصحيح، بل يجب على الذاتأولا أن تحقق تجربة الانفعال حتى تصبح فاعلة، في تملك سلطة التأويل ليس من تلقائية ذاتها الخالصة وإنما مما يتشكل لديها في تجربتها التاريخية.

إن "كل من شلايرماخر وديلتاي قاما بتطوير المنهج العقلاني للنقد والفكر الرومانسي عن طريق موضوعية الروح"[168]، لأنه قد استفاد كل منهما من الفينومينولوجيا الهيجلية التي

*- يعرف شلايرماخر التأويلية بأنها فن يتجنب سوء الفهم مركزا على الفهم كمنهج متحرر من حرفية النص المكتوب لينتقل إلى فهم الخطاب بشكل عام، أي فهم المؤلف وليس فهم الكلمات ومعانيها المعنوية، وهنا ترجع الأهمية إلى شلايرماخر في كوهنه ركز إلى فهم النص عبر فكر المؤلف.
أنظر- غادمير، « فلسفة التأويل، الأصول، المبادئ، الأهداف »، ترجمة: محمد شوقي الزين، ص61، ص70.

[168] - Larousse"،grand dictionnaire philosophie "; sous la direction de Michel Blay, snrs èdition 2005, pour la prèsente èdition, vuef – édition, 2003, pour l édition original, p478.

أخرجت الكوجيتو من مضامينه الداخلية أو من جوانيته ليتم التأسيس لموضوعية الكوجيتو، وبالتالي لمشروعية التأويل كأفق لممارسة نشاط الفهم الإنساني، وكما تبين من ذلك أن"شلايرماخر يتصور أن الهيرمينوطيقا كفن للفهم وتفسير النصوص تتوزعها فروع جهوية للهيرمينوطيقا منفصلة عن بعضها البعض، وقد حاول تأسيس هيرمينوطيقا عامة تصلح لدراسة جميع النصوص، حيث عمل على تخليص التأويل من قبضة اللاهوتيين ليلتحق بحقل الفلسفة، بعد أن بذل في سبيل ذلك جهودا كبيرة ليأتي بعد ذلك "ويلهام ديلتاي" 1833م-1911م، ليطور ويكمل تلك الجهود التي أفتتحها شلايرماخر جاعلا من الهيرمينوطيقا منهجا للعلوم الإنسانية وعلوم الروح"[169]، إن مسعى شلايرماخر هذا إنما كان يتشكل ضمن أفق التأويل في مجال العلوم المتعلقة بالإنسان، إذ لا يكفي للهيرمينوطيقا أن تقتصر على الجانب المتعلق بما هو مقدس من النصوص الدينية أو النصوص التاريخية التراثية، وهي تحتاج إلى فهم إنساني دائم وإلى علوم أخرى تمارس فيها التأويلية نشاطها حتى تصبح أكثر انفتاحا ومعاصرة لمتغيرات الفهم الإنساني.

تعتبر "الهيرمينوطيقا في شكلها الحالي بوصفها اتجاه اقترن ظهوره بالاتجاهات الفلسفية حيث عرفت تطورا منهجيا في القرن التاسع عشر التي قامت على أساسه في ما بعد معظم الجهود في علوم الفكر، وهي حسب غادامير تجاوزت مهمتها الأصلية وانزاحت عن طابعها البراغماتي من خلال تسهيل فهم النصوص الأدبية والفن عموما بما في ذلك الإبداعات الروحية التي كان اهتمامه منصبا عليها في الماضي"[170]، حيث تشكلت النظرية التأويلية من خلال الجهود التي بذلها غادامير في سبيل تخليص التأويل من النزعات الميتافيزيقية الدوغمائية التي زجت به في متاهات النصوص اللاهوتية الكلاسيكية، وبالتالي "تم مع غادامير القبض على التاريخ ككل من أجل طرح السؤال الأساسي للتأويل كفن للفهم، وليس

[169]- نابي بوعلي، "فلسفة التأويل من شلايرماخر إلى ديلتاي"، ضمن مؤلف جماعي تحت عنوان، "التأويل والترجمة مقاربات لآليات الفهم والتفسير"، ص175، ص176.

[170]- مؤلف جماعي، جمع وإشراف، د أحمد إبراهيم، "سر الترجمة وهاجس التأويل"، ضمن مؤلف جماعي للتأويل والترجمة، مقاربات لآليات الفهم والتفسير، تقديم الدكتور، الزاوي حسين منشورات الاختلاف، ط1، 2009، ص20.

فقط كعلم للنصوص بل كتجربة عامة لوجود الإنسان في العالم، الذي سبق وأن حدد مارتن هيدغر أبعاده وفي هذا الأفق يتم معرفة موضوعية المعاني التي أخذت مع بول ريكور ما يسمى بعالم النص أو فهم الذات"[171]

إن "الشيء الأساسي الذي أضافه غادامير للنظرية التأويلية هو أنه نظر إليها من خلال عمل التاريخ وتوسط نظرية الفهم"[172]، وقد قدم في هذا عدة مفاهيم مختلفة متعلقة أساسا بالعلاقات التي يتضمنها عمل التأويل، هذا مثل العلاقة بين الذات المؤولة والنص المؤول، وانصهار الأفاق وغيرهاولكن "أهم فكرة جوهرية هي أن الحقيقة الهيرمينوطيقية عند غادامير في مؤلفه الأساسي "الحقيقة والمنهج" تكمن في نظرته الخاصة عن سؤال الحقيقة الذي يُجيبُ عنه بتعريف سلبي للحقيقة، لأن سؤال الحقيقة في نظره يتجاوز كل سؤال علمي في مجال الفلسفة والتاريخ والفن"[173]، لأن "الخط الذي تدور حوله أفكار غادامير في مؤلفه "الحقيقة والمنهج" 1960م هو الفصل بين الحقيقة والمنهج"[174]، إن مقتضيات النظرية التأويلية عنده قد تطعمت بنظرية الفهم كما بلورها من قبل إدموند هوسرل في المنهج الفينومينولوجيا الذي شكل المجال الواسع لنظرية التأويل كفهم.

ولكن غادامير تفطن الى ضرورة مناقشة الفينومينولوجيا في أفق الطرح الأونطولوجي الهيدغري الذي منح من خلال مؤلفه الأساسي "الوجود والزمان" 1927م للفينومينولوجيا معنى آخر غير ذلك الذي ثبته هوسرل، إن غادمير قام بتصحيح المسار الفينومينولوجي والأونطولوجي بربطهما مع أفق التأويل، وذلك هو مدخل التأويل عنده أي أنه اهتم بمسألة الفينومينولوجيا الأساسية التي تقول (العودة إلى الأشياء ذاتها)، أي ربط الظاهرة بالوجود، أما الأونطولوجيا فهي فهم الوجود الذي يعطى لنا في الظواهر والأشياء.

---

[171]-Larousse"،grand dictionnaire philosophie ", p478

[172]- Ibid. 92.

[173]- Ibid. 93.

[174]- غادامير، "الحقيقة والمنهج، الخطوط الأساسية لتأويلية فلسفية"، ص 345، 354 وما بعدها.

ويعد الفيلسوف الفرنسي المعاصر بول ريكور"1913م/2005م"، أول من استطاع بعد غادامير أن يثبت دعائم النظرية التأويلية كتوجه فلسفي خاص، إذ بين عن الأبعاد الأونطولوجية والتواصولية للتأويل الفلسفي من خلال الكشف عن العلائق التواشجية للنصوص التاريخية والإنسانيةوهو في هذا يتخذ من البعد اللغوي مجالا واسعا لفهم نظرية التأويل*.

استنتاج

يتبين أن للنظرية التأويلية الفلسفية مجال تاريخي واسع جدا فهي إن كانت تعود في أصولها الأولى كممارسة معرفية أخذت طابعا لاهوتيا ودينيا، لكنها تطورت تاريخيا من خلال الاهتمامات الجديدة التي حددها على الخصوص أنصار التيار التأويلي الألماني ديلتاي وشلايرماخر، وقد كان كذلك لهوسرل وهيدغر إسهامهما الأساسي في بلورة معالم التوجه التأويلي بالصيغة الفلسفية التي نجدها عليه اليوم في الفلسفتين الألمانية والفرنسية على وجه الخصوص مع غادامير وبول ريكور باعتبارهما رائدي التأويلية الفلسفية المعاصرة.

*- ولهذا السبب يرى بول ريكور أن النظريات الكلاسيكية في التأويل ولا سيما عند ديلتاي وشلايرماخر، قد حاولت إحداث مطابقة وتما هي بين التأويل ومقولة الفهم ونظرت إلى الفهم باعتباره تعرفا على قصد الكاتب من وجهة نظر المستقبل، في حين أن الذات المؤولة لا يمكنها أن تملك هاته الأحقية ما لم تندمج أولا في سياق موضوعها التأويلي، أي النص التاريخي بالذات باعتباره المعطى الجوهري الذي يعزلها عن الأحكام والافتراضات المسبقة، وبالتالي بقيت "التأويلية في نظره محصورة في إطار نزعة نفسانية حتى وان لبست لبوس حوار بين الذاتيات المتفاعلة inter-subjectivité " لهذا نجد أن بول ريكور يركز على العود الغير مباشر للذات بتوسط العلامات والرموز والنصوص المعبرة عن الوجود الإنساني. أنظر في هذا: – بول ريكور،" صراع التأويلات دراسة هيرمينوطقية"، ترجمة: منذر عياشي، مراجعة جورج زيناتي، دار الكتاب الجديدة المتحدة ط2005،1.

–بول ريكور، "الذات عينها كآخر"، ترجمة وتعليق: جورج زيناتي، مركز دراسات الوحدة العربية،ط1،بيروت، 2005.

قائمة المصادر والمراجع

- إ.م، بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوربا، شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، سبتمبر، 1992.
- أحمد الإمام ابراهيم، التيارات الفكرية، المفهوم – مراحل النشأة – عوامل التطور – فقه المواجهة. حولية كلية الدعوة الإسلامية، القاهرة، المجلد الأول، العدد 22، 2020
- أحمد مجدي حجازي، شادية علي فتاوي، التنمية والتخلف في المجتمع المصري، جامعة عين شمس، كلية الآداب، القاهرة، 1988
- الأخضر غريسي، التجربة الحقيقية بين التجريبيين والبراغماتيين، جامعة دباغين، سطيف، دس
- إدموند هوسرل، أزمة العلوم الاوروبية، والفينومينولوجية الترسندنتالية، تر: اسماعيل المصدق، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2008
- ادموند هوسرل، أفكار مهتمة لعلم الظاهريات الخالص والفلسفة الظاهراتية، تعريب، أبو يعرب المرزوقي، دار جداول، بيروت، ط1، 2011
- إدموند هوسرل، مباحث منطقية،، تر: موسى وهبة، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2010
- أفلاطون، جمهورية أفلاطون، تر: فؤاد زكريا، ط المؤسسة العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، 1968، انظر أسطورة الكهف.
- إمانويل كانط، مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة، تر: نازلي اسماعيل حسين، فتحي الشنيطي، تقديم عمر مهيبل، موفم للنشر، الجزائر، 1991
- أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، "2، 2001.
- أندري لالاند، الموسوعة الفلسفية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001
- أنظر– غادمير، « فلسفة التأويل، الأصول، المبادئ، الأهداف »، ترجمة: محمد شوقي الزين.
- انظر: المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار.

- أنظر: حميد موراني، وعبد الحليم منتصر: قراءات في تاريخ العلوم عند العرب
- أنيس منصور، الكبار يضحكون أيضا، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط1، 2004،
- أوسيوف،أصول علم الاجتماع"، تر: سليم توما، ذدار التقدم موسكو،روسيا ،د ط 1990.
- باركلي المحاضرات الثلاث بين هيلاسي وفيلونوس، تر: ديخيى هويدي، ط القاهرة، دار الثقافة لطباعة والنشر، 1976.
- بن اسماعيل بن رحمة، الخطوات المنهجية في البحوث التجريبية والعوائق الابستمولوجية التي تعترض الباحث التجريبي والحلول المقترحة، مجلة التكامل، العدد03، 2018، ص73
- بن العيفاوي نورة، مرجعية النظرية الوظيفية في الدراسات الغربية والعربية، مجلة تطوير العلوم الاجتماعية،العدد11، دس
- بول ريكور، "الذات عينها كآخر"، ترجمة وتعليق: جورج زيناتي، مركز دراسات الوحدة العربية،ط$_1$،بيروت، 2005.
- بول ريكور،" صراع التأويلات دراسة هيرمينوطقية"، ترجمة: منذر عياشي، مراجعة جورج زيناتي، دار الكتاب الجديدة المتحدة ط2005،$_1$.
- تشارلز داروين، أصل الأنواع، ترجمة اسماعيل مظهر، مؤسسة هنداوي، 2018
- تشارلز داروين، نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي، المجلد الاول، ترجمة: مجدي محمود المليجي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، الطبعة الأولى
- تلوين مصطفى، "التأويل والعلوم الإنسانية عند غادمير ضمن مؤلف جماعي تحت عنوان، "التأويل والترجمة مقاربات لآليات الفهم والتفسير"
- جعفر آل ياسمين، فلاسفة اليونان العصر الأول، مطبعة الإرشاد، بغداد، ط1، 1971.
- جميل صليبيا، المعجم الفلسفي، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982،
- جميل صليبيا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، الجزء الاول، 1982
- جميلة بنت عبادة الشمري، مفهوم التيارات الفكرية وعلاقته بالمصطلح ذات الصلة، شبكة الألوكة، 2016
- حسن ناعفة، تراث الإسلام، (الجزء الثاني)، سلسلة كتاب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت، 1978.

- حمزة نايلي دواودة، الإرهاصات التاريخية للنزعة الإنسانية، مجلة مفاهيم للدراسات الفلسفية والإنسانية المعمقة، العدد14، 2023.
- دافيد جاسير، "مقدمة في الهيرمونوطيقا".
- دراسة توضيحية مستقاة من أعلام الفلسفة الوجودية ، معنى الوجودية ، منشورات دار مكتبة الحياة– بيروت ، د(ط،س)
- الدكتور محمد الجوهري، المدخل إلى علم الاجتماع"، كلية الآداب، جامعة القاهرة،دط، 2007
- دهاني محمد رشاد، "الوجود واللاوجود في جدل أفلاطون"، جامعة القاهرة فرع الخرطوم– ط1– س 2001،
- ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، ترجمة: د. عثمان أمين، القاهرة، مكتبة الانجلو، القاهرة المصرية، 1980
- راوية عبد المنعم عباس، " ديكارت أو الفلسفة العقلية"، دار المعرفة الجامعية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 1989
- رحيم عبد القادر ،البنيوية مفهومهاو أهمروافدها ، مجلة كلية الآداب و اللغات ، جامعة بسكرة ، العددان الرابع و الخامسعشر ،جانفي ،2014 .
- رهم محمد ، ملاوي الأمين ، أثر نظريتي التعلم السلوكيةو البنائية في المقاربة بالأهداف و الكفاءات ، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 14 ، ع 2 ، جامعة بسكرة .
- روبرت رودرث ، مدارس علم النفس المتعاصر ،تر : الدكتور كمال دسوقي ، دار النهضة العربية لسيغموند فرويد ، الموجز في التحليل النفسي ،تر : سامي محمود علي و آخرون ، مهرجان القراءة للجميع ، للطفل للشباب للأسرة ، د ط ، 2000لطباعة و النشر ،بيروت ،لبنان ، د ط ، 1981.
- ريجليس جوليفيه، المذاهب الوجودية ، تر: فؤاد كامل ، مر: محمد عبد الهادي أبو ريدا ، دار مصر للطباعة و النشر، د(ط،س).
- الزين (محمد شوقي): «تأويلات وتفكيكات »، فصول في الفكر الغربي المعاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2002

- سايمون كلارك ، أسس البنيوية نقد ليفي شترواسو الحركةالبنيوية ،تر : سعيد العليمي ، المركز القومي للترجمة ،القاهرة ،مصر ، ط 1 ،2015 .
- سلامة موسى، نظرية التطور وأصل الإنسان، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012،
- سليماني عبد العزيز، "الفينومينولوجيا عند إدموند هوسرل، بحث في نشاتها وعناصرها الأساسية، مجلة الحقوق والعلوم الإنسانية، المجلد 16، العدد01، 2023
- شنيدر، تاري الفلسفة الامريكية، تر: فتحي الشنيطي، مكتبة النهضة المصرية، دط، 1964
- طوبي كرماني، بحث مقارن حول الحركة في "الحكمة المتعالية " و "الحركة الدياليكتيكية"، مجلة الحكمة للدراسات الفكرية، العدد 31، 2014
- عبد الرحمان بدوي، الموسوعة الفلسفية، ج1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ص19 – 32.
- عبد الرحمن بدوي: "الموسوعة الفلسفية" ج2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1984
- عبد السلام خواخي، الأسماء والتصورات من نظرية المعرفة إلى نظرية المعنى، نموذج الفلاسفة التجريبيين: جون لوك، دافيد هيوم وجون سوارت ميل، مجلة "مدارات في اللغة والأدب"، مركز الدراسات والأبحاث، تبسة، المجلد01، العدد04
- عبدو الحلو، "معجم المصطلحات الفلسفية"، المركز التربوي للبحوث والإنماء، مكتبة لبنان، ط1، 1994
- علي إسماعيل علي ، نظرية التحليل النفسي و اتجاهاته الحديثة في خدمة الفرد ، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،مصـر ، د ط ، 1995.
- علي سامي النثار، ديموقريطس، فيلسوف الذرة وأثره في الفكر الفلسفي حتى عصورنا الحديثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية
- علية حسن حسين، التنمية نظريا وتطبيقيا، الهيئة المصرية العامة للكتاب – الإسكندرية، 1977
- غادمير، « فلسفة التأويل، الأصول، المبادئ، الأهداف »، ترجمة: محمد شوقي الزين، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006.

- غادمير، « فلسفة التأويل، الأصول، المبادئ، الأهداف »، ترجمة: محمد شوقي الزين، المركز الثقافي العربي، ط1، 2006
- فاطمة الزهراء روابحية، البيوكيمياء التطورية وفرضية داروين لنشأة الحياء والخلية الاولى، مجلة دراسات إنسانية واجتماعية، المجلد11، العدد01، 2022 تومي عبد الرحمان ، الجامع في ديداكتيك اللغة العربية ، المكتبة الأمنية ،الرباط ،المغرب ، د ط ، 2018.
- فتيحة زرداوي، المنهج التجريبي عند ابن سينا، مجلة الحكمة للدراسات الأدبية واللغوية، مجلد4، العدد04، 2016
- فرحان محمد جلوب، "دراسات في فلسفة التربية"، الموصل، العراق، مطبعة التعليم العالي
- فضل صلاح ، نظرية البنائية في النقد الأدبي ، منشورات دار الأفاق الجديدة ،بيروت،لبنان، ط 2 ، 1980.
- كمال التابعي، تغريب العالم الثالث، دار النصر للتوزيع والنشر، القاهرة، ط2، 1995
- لحسن عبد النوي ، اكتساب اللغة دراسة مقارنة بين النظرية السلوكية و الفطرية ، المركز الجهوي لمهن التربية و التكوين الدارالبيضاء ، السلطات المغربية ، مجلة الخليل في علوم اللسان ، مجلد الأول ، ع 2 ،مارس ،2022 .
- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، حرف التاء، دار صادر بيروت، ط3، 1414ه
- للمزيد من الاطلاع أنظر إلى: فرح انطوان، فلسفة ابن رشد، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية ، 1993.
- محمد بن سباع، تولات الفينومينولوجيا المعاصرة (مرلبونتي في مناظرة هوسرل وهايدغر)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، لبنان
- محمد جواد مغنية، مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ودار الجواد، بيروت، لبنان، دط، ت
- محمد سعيد فرح، ما...علم الاجتماع، منشأة المعارف، الإسكندية، مصر،دط، 2012،
- محمد شوقي الزين: «تأويلات وتفكيكات »، فصول في الفكر الغربي المعاصر،.

- محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، الفلسفة الحديثة، "الجزر الرابع"، دار المعرفة الجديدة، الإسكندرية، 1996
- محمد فتح الله، كولن، حقيقة الخلق ونظرية التطور، ترجمة: اورخان محمد على، دار النبل للطباعة والشر، جمهورية مصر العربية ، الطبعة الثانية، 2006
- محمد فتحي عبد الله، علاء عبد المتعال، دراسات في الفلسفة اليونانية، دار الحضارة للطباعة والنشر، طنطا، د ط، د س
- محمود أبو الفيض المنوفي ، كتاب الوجود ، دار الكاتب العربي للطباعة و النشر– القاهرة، د(ط،س)
- محمود العفيفي، "مباحث في الله والطبيعة والإنسان"، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، د–ط، د–س،
- محمود كيشانة، " المثالية، مفهومها وأنواعها وفلاسفتها"، سلسلة مصطلحات معاصرة، العتبة العباسية المقدسة، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، ط1، 2018
- مختار جلولي، إسهامات التيار الوظيفي في مقاربة الظاهرة الإعلامية والاتصالية، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، مجلد14، العدد01، 2019
- مراد وهبة، " المعجم الفسلفي"، للناشر دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2007
- مرسي، محمد منير، فلسفة التربية واتجاهاتها ومدارسها، القاهرة، مصر، عالم الكتب، القاهرة، 1993
- مؤلف جماعي، جمع وإشراف، د أحمد إبراهيم، "سر الترجمة وهاجس التأويل"، ضمن مؤلف جماعي للتأويل والترجمة، مقاربات لآليات الفهم والتفسير، تقديم الدكتور، الزاوي حسين منشورات الاختلاف، ط1، 2009،
- ميشيل فوكو ، البنيوية و التحليلالأدبي ،تر : محمد الخماسي ، مجلة العرب و الفكر العالمي ،بيروت ،لبنان ، العدد الأول ، شتاء 1988 .
- هاني يحي نصري، دعوة إلى الدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة، المؤسسة الجامعية للدراسات والمنشورات، لبنان، ط1، 2002

- وفاء برتيمة، الفلسفة المادية بمخيال نسوي روزا لوكسمبورغ عقل كارل ماكس الثاني، ساسلة الانوار، المجلد 11، العدد 02، 2021
- يحي هويدي، قصة الفلسفة الغربية، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1993.
- يحيى هويدي، دراسات في الفلسفة الحديثة و المعاصرة ، دار النهضة العربية للنشر– القاهرة، د(ط) ، 1968
- اليماني، عبد الكريم علي، فلسفة التربية، دار الشروق، عمان، الأردن، 2004

المراجع باللغة الأجنبية:

- Mrs, nadha Mutlaq Albogami, The idiel theory in plato s philosophy and it s relevance to man and the universe, Arab Journal of Science Raecherch publishing (AJSRP) . VOL 9. Issue 3 (2023)
- Gianni Vatimo Mourizio Ferraris, Diego Marconi, Encyclopedie de la philosophie, la pochotheque, librairie general francaise 2002, pour la traduction et ladaptation,
- Dictionnairee ensyceclipedique. Larousse. Opcit.
- Hottois Gilbert. De La Renaissance a la Postinodzenite : Une hisoire de la philosophie moderne et contemporaine. Editions De Boeck Universite. 3tirage. 2tirage. Bruxelles. 2005.
- Jacqueline Russ, Badel leguil, Dictionnaire de philosophie, Bordas, Paris, 2004,
- Christian berner. "l'hermeneutique et le probleme de la vènitè" . Ouvrage dirigè par roland quilliot. Ellises. Paris. 1997.
- Larousse"،grand dictionnaire philosophie "; sous la direction de Michel Blay, snrs édition 2005, pour la présente édition, vuef – édition, 2003, pour l édition original

- Larousse"،grand dictionnaire philosophie "; sous la direction de Michel Blay, snrs èdition 2005, pour la prèsente èdition, vuef – édition, 2003, pour l édition original,.